

روايات المهجر

تأليف
عبد المسيح دداد

صاحب جريدة السائحة
في نيويورك

سنة 1921

مقدمة

منذ دخلت اميركا منخرطاً بين عالمها السوري ونفسي ترى اشكالاً واوضاعاً في حالتنا الاجتماعية وصوراً شتى لحياتنا السورية الاميركية وكنت كثيراً ما اسائل نفسي متى يا ترى يتحرك قلم احد كتابنا فيدون هذه المشاهد لعمل الناس على درس اسرارها

اما المشاهد التي اعنيها فهي مرتئيات لاسرار ومظاهر لما خفي في النقوس وقد كنت اراها واقرهاها واسمعها واحس بها فاجد سعه ميدان لمن شاء من الكتاب تصوير الحياة السورية باسلوب القصص الصغيرة . ولقد ظل هذا الفكر يراودني حتى كتبت اول قصة «عبد الفطرة» لخاطرة خطرت بيالي املاء بها بعض فسحة من صفحات السائح ولم ادر الا وانا مدفوع من نفسي في ذلك الميدان الذي رغبت لغيري من الكتاب في ولو جه بما ظهرت تلك القصة حتى رأيتني محاطاً بالاصدقاء يسائلونني كيف خطر بيالي تصنيف قصة هي صورة طبق الاصل لمشهد من مشاهد حياتنا في ديار المهجـر ثم شعرت بيد لطيفة ممسكة بيدي - تلك كانت يد عميد الرابطة القلمية جبران خليل جبران وسمعته يقول لي «اريد ان اقرأ لك قصة من هذا النوع في كل عدد من اعداد جريدةتك ولا عذر لك عن القيام بذلك العمل فاما ميدان واسع ولجته فتعمق في حنایاه وغضـن الى قاعـه وجثـنا بما تغوص عليه »

ثم جاءني بعد حين يحاول اقناعي بان اجمع هذه القصص بكتاب على حدة فلم ار بدا من ذلك لأن ما سمعته من هذا الصديق الحبيب وغيره من الاصدقاء الغير على ادب اللغة التائدين الى نزع ما تقادم . عهده من البستها وجلببتها بالبـسة تناسب هذا العصر قد فتح في نفسي اذاـنا وعيـنا فـساـقـنـيـ العـيلـ الطـبـيعـيـ الـىـ الـقـيـامـ بـماـ تـمـنـيـتـ انـ يـقـومـ بهـ غـيرـيـ وـلـهـذاـ اـطـلـقـتـ لـلـمـخـيـلـةـ العـنـانـ فـيـ درـسـ حـيـاتـنـاـ السـوـرـيـةـ فـيـ المـهـجـرـ تـرـصـدـ مشـهـداـ مـشـاهـدـهاـ فـاـصـورـهـ بـقـالـبـ حـكـاـيـةـ صـغـيـرـةـ حتـىـ جـمـعـتـ هـذـاـ الـكـتـابـ وـلـعـلهـ مـقـدـمـةـ لـغـيرـهـ انـ شـاءـ اللهـ

اقول مقدمة لغيره لاني رايتها قد ولعت بهذه الدرس وادركت
انني ساشر مع الجدول الصغير ناشدا مياه الخضم فان كنت بهذه
الاقاصيص لم ابلغ الغاية ولم ارسم ما يجب رسمه من مشاهد النفس
السورية العميقة فلسوف يقذف بي الجدول الذي انا فيه الى العمق
حيث استطيع التعمق في درس الحياة السورية من وجوه عديدةمنذ
ابتدات المهاجرة الى ما صرنا اليه

نحن بحاجة الى مرأة ترى فيها انفسنا ونشاهد بعيوننا مظهرنا
فنصلح فيه مواطن الخطل . واذا كان المرء يلجا الى المرأة لاصلاح
شعره وفرقه وربط عقدة رقبته فبالمراة النفسية يصلح ما يلزم من
مظاهره النفسية ولعمري ان هذه المرأة المعنية ليست الا الرواية
المصورة لعادة من عاداتنا وتقليل من تقاليدنا فيها ترى عيننا النفسية
حسنات حياتنا الاجتماعية وسيئاتها .

ولهذا فجريا وراء هذه المنشودة — مرأة النفس — اقدمت على
كتابه هذه الاقاصيص ودعوتها «حكايات المهاجر» لانها تختص
بالمهاجر . عسانى افید بها والا فحسبى النية وعليهم السلام

نيويورك في ١ نيسان سنة ١٩٢١ عبد المسيح حداد

الحاكم بأمره

الحاكم بامرها

قيل لي ان عائلات سوريه ممؤلفة من اباء وبنات وصبيان
تقطن في شارع واشنطن واغلبها في اعلى البناءات التي
يشغل طباقها السفلی محال تجاري ومصانع اليه وادارات
مختلفة فلم اعجب من سكناها شارع تجاري لعلمي ان
الاقداد الضروري يحلو بالعائلات الى مثل هذا ولكنني
تمنيت لو اني ادخل الى عمق حياة هذه العائلات فاقرا في
صفحاتها درسا تاريخيا وحقيقة اجتماعية

ذات يوم قرب المساء اذ كنت سائرا في الشارع المذكور
اذا بصديقي نجيب ملاقيا لي وجها لوجه فلما التقينا اخذ
ييدي جديبا وقال « تعال معي يا صاح لنزور عائلة عمي في
منزله فانه يقطن في الطابق الرابع من هذه البناءية
(قال هدا وقد اشار الى بناء امامنا في شارع واشنطن)
فاجبته «اهبنا يسكن عمه؟ والله ما خطر بيالي ان عائلة
تسكن في هذه البناءية القديمة المكتظة بالمحال التجارية!»
فقال «نعم هنا يسكن عمي دعييس، فتعال معي لا قضي
هذه الزيارة واتخلص منها في حين يكون عمي وحده في
البيت ثم انه اذا كنت معه لا يستطيع عمي ان يعبرني على
البقاء طويلا كما يفعل كلما ذهبت لزيارتھم

فاجبته «اذا كانت المسالة لغاية لك فلا بأس ان اكون
«حصانا لغاياتك»

(قلت هذا مجاملة له واما نفسي فقد حدثني ان اذهب
لا لغايتها بل لغايتها اي لارى بعيني كيف تعيش عائلة عمه
في هذا المحيط ومن وما هو عمه)

صعدنا السالم وكانت درجاتها الخشبية تنحدر تحت
وطايات اقدامنا وتشن انات عميقة وتهتز البناء فتسمعنا
مفاحيلها نغمة نجارية ولما وصلنا الى العم دعيس دق نجيب
الباب فسمعنا الجواب يا مرتنا بالدخول فدخلنا وسلمنا وتعارفنا
وجلسنا

حضره العم دعيس يقارب طوله العرض او عرضه الطول
وقد كان جالسا على الكرسي فلم يبن شيء من ذلك الكرسي
المسكين . هياته بشرية سورية بكل معانى الكلمة الا ان
شاريه نسيج الطبيعة المتعصبة التي لا تسمح لشيء عصري
ان يعبث بصنعها .

وكان ابن الاخ يكلم عمه والعم يدخل بالنارجيلة ويخرج
الكلام مقطعا بالدخان وهو عاض بصفي اسنانه على خشبة
النريج اما انا فقد كنت غارقا في حجر افكاري اسائل نفسي
اين ياترى شاهدت هذا الرجل - عم صديقي نجيب وقد
ظللت وقتا اسوق ذاكرتي واجلدها لعلها تقطن للمحل الذي

رأيت فيه مضيقنا العم ولكن الذاكرة الملعونة خانتني
 وفيما نحن كذلك اذا بامراة العم قد اقبلت وهي امراة
 كهلة مربوعة القامة حادة النظر سمراء اللون قوية العضل .
 دخلت اولا عابسة ولكنها ما رمت الى الارض بجزدانها
 الثقيل حتى قلبت تلك العبوسة بابتسامة سورية جميلة فرحيت
 اولا بابن سلفها ثم بالفت بالتأهيل بي مكثرة من عبارات
 المجاملة المعتمد عليها . وما انهت تسليمها علينا حتى رأيت
 بوادر جسم العم دعيبس قد تحركت قليلا نحوي وقال :
 «يا حضرة المستر ٠٠٠ هذه امراتي وام الاولاد وهي من
 بطلات اميركا فلا يخفى عنك ان اميركا لا تليق بالنساء
 واما الرجال مثلنا فهم اصفار للشمال»

(قال هذا ضاحكا كانه يقول فكاهة ولم يدراني فهمت
 انه قال الصحيح)

فاجبته محاجلا : «ان كلامك يا حضرة العم في محله
 فانك اغرف مني على نحو ما يقال - اكبر منك يوم
 اعرف منك بستة . . .»

ولم يكن حضرة العم ليتعجب من التدخين فقد ظل طول
 تلك المدة عاضا باسنانه على خشبة النريج يقول عبارة
 ويردها بسجدة طويلة من النargile فيخرج الدخان قسمين
 واحد من «باب المندب» والآخر من «جبل فيزوف»

ثم صاح العُم بامرأة العُم: «يا كُلِيمَة اهْتَمَي بالعشاء للشباب» واد سمعت هذا الامر نهضت مذعوراً وبدأت اعتذر للعم ولا مراة العُم ان لا يتبعا سرهما فاني مشغول ولو لا ان نجبيا قال لي ان الزيارة لا تأخذ اكثرا من ربع ساعة لما استطعت ان اجيء معه. ثم ان نجبيا بدوره ايضاً بدا يعتذر عن نفسه متكللا على ضرورة ذهابه معي بدعوى اني مشغول وانه مضطر ان لا يفارقني.

عندئذ صاح بنا العُم صيحة قوية وقال: «شُغل ما شُغل انا لا افهم هذا. قلت انكم تتبعون عندنا وانتهت المسالة. الان كُلِيمَة تحضر لنا العشاء وبعد قليل تحضر البنت فترتب لنا سفرة المشروب وبعد ذلك تقضي السهرة وتذهبون ولو انا في البلاد (سوريا) لكننا جعلناكم تنامون عندنا ولكن هذه البلاد ضيقة».

قلت آنفا اني بهذه الزيارة لم اكن حصاناً لغاية صديقي كما اعربت له وكما ظن هو بل كنت بالحقيقة حصاناً لاختباري ولهذا التفت الى صديقي وقلت له انه اذا كان يرغب في البقاء فاما او عجل شغلي من اجله فاضطر المسكين ان يقبل بالبقاء حسب امر عمه ولا اعلمكم شتيمة صاغها لي قلبه.

عدنا الى الكراسي فجلسنا ولم تمض خمس دقائق

حتى وفدت ظبية البيت ففتحت الباب وبعدها مدت رأسها وشاهدتها سحبته ورجعت مسكرة الباب بعجلة كأنها خجلت من الموجودين أو بانحرفي مني أنا لأنني كنت الغريب بين الجماعة، ويظهر أنها دخلت إلى المطبخ من الباب الثاني لأن اباها صاح بها أن تأتي إليه من جهة المطبخ الذي له مدخل إلى الباب وقد قال لها مشجعاً أن لا تخجل فإنه ليس عندهم غريب، وما مضت لحظة حتى جاءت الأم من المطبخ ساحبة يدها ابنتها التي أصطبغ خداتها بالاحمرار ولما صارت أمامنا قالت الأم «هذه بنتنا مريم خجولة تستحيي من خيالها تعالى يا بنتي ولا تستحيي فهذا ابن عمك مثل أخيك وهذا صاحبه مثل أخيه».

وكان كلمات الأم قد اطارت خمرة الخجل من راس مريم ولهذا لما رأت نفسها أمير جمهوراً تشجعت وصارت كبنات أميركا فمدت ساعدتها وصافحت كلاً منا محيية ولما وصلت إلى أيديها قبلت يده أاما هو فلم يقبلها ولكنه استرضى عليها وأكثر دعاءه لها.

(كل هذا كان منه وخشبة النريج لم تبرح معضوضة يين اسنانه كأنها خلقت كذلك وكانه هو ولد وبفيه نريج) وقد لاحظت أن مريم قد سحبت قبيل ان تغلق راجعة من قرب أيديها ضمة من الولايات وبعياقة كلية ادخلتها إلى جيده

ثم تركه مسدة خطواتها نحو المطبخ لتساعد امها .
عندئذ سمعت العم دعييس يقول لنا بابتسام : « هذه مريم
الغالية وهي بنت ولا كالبنات . الله يرضي عليها . مطيبة
مجتهلة تسوى عشرين صبيا »

ولم يتم كلام العم عن ابنته حتى افتح الباب بخشونة
ودخل غلام بعجلة فالقى عنه في منتصف الغرفة علبة معلقة
بكتفه بقشاط وترکها على الارض غير مكترث بها وتقدم
في الحال نحو ايه صائحا بملء صوته : « يا بابا اشتريت
الربطات من محل الياس مرقص لان كامل سليمان طلب
مني ريال زيادة . وقد بعت اليوم بستة عشر ريالا صرفت
منها نصف ريال اجرة طريق وثمان اكل »

هذا ترك دعييس النريج من فيه لاول مرة منذ تشرفت
بزيارة فجذب ابنه الى صدره وقبله قبلات سمعناها نرات
موسيقية ثم تناول من ابنه المراهم فعدها ووضعها في جيبه
واخرج من الجيب الثاني ربع ريال فاعطاه اياه حلوانا له
وتابعه بربع ريال ثان واسر باذنه ان ينزل الى السوق
ويشتري سيكارات في الحال .

(ان العم ظن انه اسر كلامه لابنه ولكن صوته كان
مسموعا لا بعد من عشرين ذراعا منه)

وما تناول الغلام المال حتى طفق يعود من اول خطوة

خطاها جارفا درقة الباب بطريقه وقد اهتزت جوانب المنزل
لركضه . وعند ذلك ابتسم العم على خشبة النريج وقال
ننا : «هذا ولد زهرة من الزهارات وسيكون نعم الخلف .
ذكي شاطر ولا ما يعييه سوى انه طائش لكنها طياشة
كيسة الا انها في ذمة امه فانها تدلله وتدعوه ولا يخفى عنكم
ان للسوريين عادة ذميمة وهي تدليل الابناء والقسوة على
البنات في حين انهن بامير كا احسن منهم وكل بنت في
الحقيقة تسوى عشرين صبيا» .

قضينا السهرة كلها من السكرة حتى نهضنا للخروج والعم
دعبيس لم يدعا لسانه في حجرة فمه فطورا كان يامر الام
بالمازة وتارة يطلب الصحون من البنت واخرى يقول للغلام
ان يرمي رماد السيكارات خارجا ولما جلسنا للعشاء الذي
حضر الى امامنا لم تجلس معنا الام ولا البنت حتى ولا
الغلام ايضا بالرغم من اني ورفيقي اكثربنا الالاحاح على
العم بان يسمح لاهل البيت بتناول الطعام معنا ولكنه كان
يعذر عن قبوله بذلك مدعيا ان الوقت لا يسمح فعلى من
ذكرنا واجبات في المطبخ يينا نكون نحن تناولنا الطعام
وفي حال عشائنا كانت اوامر العم تباعا لزوجته وابنته وابنه .
«هاتوا البطاطا خنو صحون الشوربا . املائي يا بنت
الكاسات ماء . صبي يا امراة في صحن المستر . يا ولد قدم

الفجول لناحية ابن عمك .» الى ما هنالك من الاوامر .
 ولما حان وقت انصرافنا نهضنا انا ونجيبا فودعنا العم
 وطلبنا ان نودع المدام وابنته فنادى بهما حضرة العم فجاءتا
 من المطبخ مظہرتین ذهولهما من سرعة ذهابنا فاجبنا
 اللازم وصافحناهما مودعين وخرجنا بسلام
 ولما وصلنا الى الشارع ضحك نجيب وقد كنت اتظر
 منه سخطا مغضبا لتساهلي بالبقاء عند بيت عمه ثم قال لي
 «ارأيت كيف يعيش عمي؟»
 فاجبته: «نعم رأيت . ولكنني لا ازال ابحث بفكري اين
 شاهدت عمي قبله .»

فقال مفهها «انت لم تره ولكنك رأيت شيئا له في
 مرسلينا .»

فضحكت معه لهذه الفكاهة التي جاءت في محلها ولكنني
 اصررت على اني رايته نفسه قبل اليوم الا اني نسيت اين
 ثم سالته: «وبماذا يشتغل عمي؟»

—يعطي قومنا (كان جوابه بتصنع ازدرائي على وجهه)
 —نعم لاحظت ذلك . لاحظت كثرة اوامره لاهل البيت
 ولكن من اين يعيش؟

— من اين يعيش؟ انت اعمى؟ لم تر ان امراته لا
 تعود الى البيت الا مساء فتاتيه بكنوز المال؟ وابنته الصبية
 تورم جيده بالرمادات حتى الصغير ياتيه بستة عشر رyal كل يوم
 وربما اكثر

—إذن شغل عمك ان يبقى في البيت يسلّي النازجية
لثلا تشعر بوحشة؟

—بال تماماً زد على ذلك ان لعمي ذوقاً حسناً بالتدريب
العسكري فولاً اوامر لاختل نظام العائلة.

—مضبوط. اظن الان ان عمك في سعة من دهره؟

—في سعة من دهره؟ بل هو من اغنياء السوريين
ال حقيقيين الذين غناهم ذهب «حجر».

— اذا كان عمك غنياً كما تقول فلماذا يشغل امراته
وابنته وابنه الصغير؟

— لا تتسع في الموضوع ولا تزد علي بسوء الاتك ولكي
اكفيك موعونة ذلك اخبرك انه كان لعمي موقف خطير ذات
يوم على اثر كتابة احدى الجرائد مقالة عن «يع النساء
وكل ازواجهن» فانه لأول مرة في حياته تحرك دمه وصار
ينزل الى السوق ويحمس الناس على ان يقصدوا ادارة
تلك الجريدة ليقطعوا انامل الذي كتب المقالة ولقد كان
يکيل الشتائم الغليظة للكاتب الذي تهجم على الاعراض.
عند هذا قلت لرفيقي ضاحكا راغباً في البحث معه من
جهة اخرى بعد ما رأيته يريد قفل الموضوع: «يجب ان
 تكون عائلة عمك سعيدة وعلى غاية ما يرام فانه هو راض
 وعائلته راضية وليس ما يعكر صفوها فكر متبنيه من امرأة
 او ابنة لحرية او استقلال او لحقوق فردية او غير ذلك
 فقال: «نعم كما ذكرت. ولكن حدث منذ سنوات شيء
 كدر خاطر عمي كدراً لا مزيد عليه وهو ان امراته مرضت

وأخذت الى المستشفى حيث ظلت شهرين تحت المعالجة والعمليات الجراحية وقد انفق عليها مبلغاً من المال . ولتيك شاهدت عمي في ذلك الزمان انه كان جيلاً من الهم » .
فقلت لساعتي : « ولعل عملك الذي كانت امراته في مستشفى روزفلت عام ١٩١٧؟

فاجاب : « نعم في مستشفى روزفلت وكيف عرفت؟ »
فضحكت ضحكة طويلة وصحت بنجيب : « الان وجدتها .
الان عرفت اين شاهدت عمك . نعم نعم الان عرفت .
اسمع يا نجيب . في ذلك الزمان شاهدت عمك صدفة عند الغوري وكان يطلب اليه ان يعطيه ورقة بامضائه وشهادته انه اي عمل من فقراء الحال ليكسب ثقة ارباب المستشفى فلا يتقاوضونه مالا وقد كبس يد الغوري بشيء لقاء ذلك اما انا فلما شاهدته على ما كان عليه من التلبك حزنت لحاله واقربت منه سائلاً عما اصابه فاجابني بان بيته قد خرب فانه لم يكفله الله اجور الاطباء والمستشفى فقد خسر شغل شهرين لامراته وانها لا بد ان تمكث شهرين اخرين بعدما تخرج من المستشفى فيكون التعطيل اربعه اشهر . اما انا فلما سمعت حكماته احببت ان اخفف عنه واعزيه بحديث معه فقلت له ان الخسارة المالية لا ينظر اليها طالما الامراة قد تعافت وان خسارة المال لا شيء امام خسارة الحياة .
وقد زاد عملك حزني عليه في تلك الساعة لانه لم يرق له ما نطق به بل تناوله كأنه خال من كل معنى مفهوم .
لم يعجبه رأيي اسمعت؟ »

فهز نجيب راسه وقال لي وقد انتهينا الى مفرق الطريق
بينه ويسني: «نعم لم يعجبه راييك لأن المال عنده يسوى
اكثر من امراة. فانه لم تكدر تخرج امراة عمي من المستشفى
حتى استأنفت الشغل ببيع الجرزدان بالرغم من انذارات
الاطباء ولكن شكرها لقوتها البدنية فانها غلت الضعف
وهرثت بالعوارضوها هي اليوم كالنمرة كما رايتهما.
ولو لم تكن انت معنـي في هذه الزيارة التي لم يكن لي بدـ
منها لاسمعني عـمي قوارص الكلام لـاني لا اسمح لـامي ان
تشتغل كـامراتـه بالـبيع ولا تـنا نعيش في بـروـكـلـنـ بيـنـ
مسـاـكـنـ النـاسـ».

وـكـنـتـ اـذـ ذـاكـ قدـ اـفـرـقـتـ خطـوتـيـنـ عـنـ صـدـيقـيـ نـجـيبـ
فـوـدـعـتـهـ ثـمـ اـبـتـسـمـتـ وـقـلـتـ لـهـ وـاـفـاـ اـبـتـعـدـ عـنـهـ:ـ «ـالـحـمـدـلـلـهـ قدـ
عـرـفـتـ اـيـنـ شـاهـدـتـ عـمـكـ اـخـيـراـ لـيـسـ فـيـ مـرـسـيلـياـ المشـهـورـةـ
بـضـخـامـةـ اـحـصـتـهاـ بـلـ فـيـ نـيـوـيـورـكـ»



في بيت الميّت

في بيت الميت

عندما مات طانيوس المر ظل يمت الفقيد مقصد المعزين
اسبوعاً كاملاً ليل نهار وقد خيف ان يكون بلاه اهل الفقيد
من كثرة المعزين اكثر من فقدتهم الفقيد المرحوم ولكن هي
انعادة السورية في هذه الاحوال تأخذ مأخذها وهو التقليد
يجري مجراه ولو تقطعت القلوب وتفتت الاكباد وتحطم
اناء الصبر

اهل الميت يسمعون تعازي من افواه المعزين كانوا
امثولاً تعلمها قاتلوها من جملة الصلوات التي تقال كل
يوم واني انا كاتب هذه الحكاية اشعر بكل ما في من
العواطف مع الفاقدين ليس على من يفقدون بل على جلادتهم
في استماع فلسفة التعازي

الا انه من نعم المولى ان الاصطلاح في التعزية ان يكون وقتها قصيرا جدال المعزي يبقى قبته بيده وادا كان في الشتاء يظل لابسا سترته العليا وما الداعي الى هذا الاختصار ميل من القوم الى التخفيف عن اهل المي تبل كثرة القادمين حتى يضيق عنهم المكان وادا ذاك يخرج فوج ليعطي مكانا للفوج القادم جديدا

اما اهل الميت فجلوس بلا حراك واذان بلا السنة

وعيون تنظر احضانها وشفاه تتمتم كلمتين لكل قادم وكل مودع وهمـا «وراسك سالم» جوابا على التحية في التعزية لدى الدخول والخروج وهي «عوضنا الله بسلامة روءوسكم» والمرحوم طانيوس العـر كـنـت اـعـرـفـهـ مـعـرـفـةـ سـطـحـيـةـ فـلـمـ اـزـرـهـ فـيـ بـحـيـاتـهـ وـلـكـنـ صـدـيقـيـ بـطـرـسـ كـرـوـانـيـ جـذـبـنـيـ جـذـبـاـ لـنـاخـذـ خـاطـرـ اـهـ مـلـ الفـقـيدـ قـائـلاـ لـيـ انـ التـعـزـيـةـ وـاجـبـةـ عـلـىـ كـلـ عـارـفـ وـلـاـ فـرـقـ نـسـيـاـ كـانـ اـمـ صـدـيقـاـ اـمـ منـ المـعـارـفـ

وهـكـذـاـ كـانـ ذـهـبـنـاـ وـكـانـ حـضـرـةـ صـدـيقـيـ اـبـرـعـ منـيـ فـيـ اـنـكـلامـ فـقـدـ دـخـلـتـ الـىـ يـتـ الـمـيـتـ وـاـنـاـ كـالـجـنـينـ فـيـ عـالـمـ التـقـالـيدـ فـقـدـ هـمـمـتـ بـالـقـاءـ التـحـيـةـ التـيـ اـقـولـهـاـ فـيـ كـلـ الـأـوـقـاتـ الاـنـ صـدـيقـيـ بـطـرـسـ رـفـعـ كـفـهـ وـوـضـعـهـ عـلـىـ فـمـيـ فـجـعـلـنـيـ اـبـلـعـ «نـهـارـكـمـ سـعـيـدـ» ثـمـ هـمـسـ بـاـذـنـيـ اـنـ اـقـولـ «الـلـهـ يـعـوضـنـاـ بـسـلـامـتـكـمـ» فـقـلـتـ وـجـلـسـ كـانـيـ مـنـ اـهـلـ الـمـيـتـ عـلـىـ مـاـ وـصـفـتـ وـاـزـيـدـهـمـ بـعـدـ التـمـتـمـةـ لـاـنـ الـمـسـالـةـ لـاـ تـعـنـيـنـيـ وـبـنـظـرـ الـاـشـبـاحـ مـنـ كـلـ جـهـةـ لـاـنـ حـضـنـيـ كـانـ مـمـلـوـءـاـ بـسـتـرـتـيـ الـمـطـوـيـةـ وـفـوـقـهـاـ قـبـعـتـيـ وـقـدـ اـحـمـرـ وـجـهـيـ خـجلـاـ لـاـنـيـ كـنـتـ الـوـحـيدـ النـازـعـ عـنـهـ سـتـرـتـهـ

بعد سـكـوتـ خـمـسـ دـقـائقـ فـتـحـ بـطـرـسـ فـاهـ بـالـكـلامـ فـقـالـ «قـبـلـ اـنـ مـاتـ اـسـكـنـدـرـ الـكـبـيرـ عـرـفـ اـنـ اـخـرـتـهـ اـقـرـبـتـ

وان امه ستحزن عليه حزنا عميقا فدعاهما اليه قبل موته
وقال لها وصيتي اليك يا امامه ان تادي مادبة به لموتي وتدعي
اليها كل الناس وعندما يجلسون الى المائدة قولي لهم ان من
لم ينق حزنا على حبيب له فليمد يده وياكل . وهكذا كان
في بعد وفاته ادب مادبة ودعت اليها جميع الناس ولما جلسوا
الي المائدة قال لهم ما اوصلها ابنها اسكندر ان تقوله
فلم يمد احد يده للطعام . فعرفت اذ ذاك ان كاس الموت

دأثرة على الجميع ولهذا تعزت في مصابها الجلل»

سمعت هذه الموعظة فكبر قائلها يعني وقلت في نفسي
يا ضيعان ما تعلمته في المدارس والله ان بطرس فاقني
بأسلوبه المعزى وقال احسن موعظة تقال في محلها . وكانني
نسيت نفسي اذ ي موجود في هيكل الصمت فقلت لرفيفي
احسنت والله بهذه التعزية انها لحكمة منزلة

اما الحاضرون ولم يكونوا كثارا لان زيارتنا لاهل
الميت كانت بعد اسبوع وقد بدات حركة التعزية تقل
فقد سمعوا الموعظة الجميلة كانهم لم يسمعوا شيئا البتة وقد
عجبت لامرهم فقلت في نفسي لعلمهم طمطمانيون لم يفهموا
معنى الذي قيل امامهم

ولم يكدر ينهي بطرس كلماته الدرية حتى وافى البيت
فوج مؤلف من ثلاثة رجال ولأن المكان واسع والزوار

قليلون بقينا في اماكننا بل بقى بطرس جالسا وافطرت
ان لا اتحرك لانه هو الزنبرك لهذه الزيارة
ولما جلس القادمون جديدا فتح احدهم فاه بالكلام وفيما
هو يهم ليتكلم حزنت على نفسي وقلت يا لله ما الجهنمي
فاني لا افهم شيئا من العادات والتقاليد ولم امرن نفسي
على الكلام اللازم في كل حين - اما المتكلم فبذا بقوله
«هذا حال الدنيا . الموت محتم على كل الناس لامر رب
منه . كان اسكندر الكبير قد فتح الدنيا باسرها وهو في
الثلاثين من عمره ٠٠٠٠»

وفيما هو يخبرنا عن الاسكندر قلت في نفسي . موعظة
ثانية تاتينا وقد حمت على ان اقصد المكتبة العمومية بعد
هذه الزيارة لاطالع حياة ذلك الرجل العظيم الذي كل
تاريه مواعظ لازمة للبشر وبالاخص في حالات المصائب
وقد تحولت الى اصياء تام لاسع المتكلم فلا تفوتي
الموعظة الثانية ولكن شد ما كان فشلي عندما سمعت منه
نفس الموعظة التي اخبرها بطرس ولهذا استات في داخلي
اما استياء

عندئذ هم رفيقي بالنهوض لانه راي فوجا اخر موءلغا
من قادمين اقتربا من الباب فكبست على ركبته وهمست في
اذنه اني اريد ان ابقى حتى نخرج كلنا معا فسايرني بطرس

مضطرا ودخل القادمان فتليا افشين التعزية وجلسا . وما
ه ي الا لحظة حتى فتح كبيرهما فاه بالكلام فسمعته يقول
«ما هان علينا موت المرحوم ولكن امر الله لا مرد له
هكذا قدر و كان فسبحان الدائم . يحكى ان اسكندر ذي
القرنين شعر بدنو اجله ٠٠٠ ٠»

هنا تنهض قليلا فلاحت مني لفتة الى صديقي بطرس
فرايته يخط وجهه ابتسامة ولكن في الحال ادرت وجهي
عنه الى ناحية المتكلم لاسمع حكاية اسكندر ذي القرنين
وبعد سماعي جملتين من حديثه بدواجي يخط ابتسامة عريضة
والحال خوفا من ان تنتهي الابتسامة بفتحه ونحن في
هيكل الحزن والخشوع نهضت ونهض معي رفيقي فقلت
«بالاذن بلا قطع حديث حضرة المتكلم ونهاركم سعيد
جميعا» وخرجت وتعني بطرس ولما صرنا خارج البيت
امسكتي صديقي مستوقفا ايدي وقال والسم يقطر من وجهه
«ما نفعك ونفع علمك اذا كذلت لا تفهم ان في بيتك
أهل الموتى لا يقولون عباره «نهاركم سعيد» وقد افهمتك
عندما دخلنا ان لا تلفظها فبلغتها فلماذا نسيت هذا الامر
عندما خرجت؟»

فقلت له دعني من عتبك يا بطرس واخبرني اين قرات
القصة التي قلتها في بيت الميت فقال انه سمع جده يرويها

في ما تم شيخ القرية . فقلت وain قراها جدك . فقال لابد انه سمعها من جده . فقلت له اذا في مرة ثانية اضبط التاريخ وقل هكذا حدثني جدي عن جده عن جده حتى تصل الى معاصر اسكندر الكبير

فضحك بطرس وصفح عني وقال وهو يصافحني ليأخذ سبيلا غير سبيلي

«اضحك بسرتك فانا لم نكمل الساعة في بيت المرحوم والا لكننا سمعنا حكاية اسكندر الكبير لا اقل من عشرين مرة »

فاجبته ولعني قلت الصواب . «لو كنت موضع اهل الميت لقلت للناس المرحوم استراح من هذه الدنيا ومن مواعظكم »

وودعت بطرس وسرت في طرقي فالتيت بجماعة عرفت منهم واحدا ولما راني دنا مني مسلما واخبرني انه ذاهب ليأخذ بخاطر ال المر فأخبرته اني ات من تعزتهم الله يساعدهم . فاعاد «الله يساعدهم» وزاد «ويعينهم» وقد اخبرته كيف اني دخلت بيت الميت ولم اقل عباره تعزية اعزي بها المساكين لاني لا افهم الاصطلاحات فضحك مني وقال «اهي مسألة فلسفة . احك قصة فيها مغزى وعز بها الجماعة» فقلت وما عساك ان تحكي انت ؟

فبذا يخبرني قصة اسكندر ذي القرنين ولكنني قاطعته
فائلاً اني اعرفها وشرت له ان يلحق باصحابه ليعزوا
الجماعة وليساعدهم الله - ويعنهم - ويرحمهم



المتشائم

المتشائم

ما كنت اعهد فيه الشر والميل الى تضليل الناس بل
عرفت صديقة ي الياس البقاعي شابا مهذبا رقيق العواطف
محبا يداب في عمله ويغار على مصالح زبنه ولكنه في الايام
الاخيرة انقلب باخلاقه وطبعاهه فصار اذا ساله ضال اين
الطريق الى الشمال يدله على الجنوب غير مبال بعقبى ولا
ابه بجناية يرتكبها بتضليل الاخرين

جلست الى جانبه في احد الايام وسأله لماذا تبدل باخلاقه
حتى سود الناس صحيقته فرأيته يهز راسه عاصفا شفته السفلية
عصا قويا وما تكلم غير هذه العبارة جوابا «البيت ان لا اهدى
ضالا ما دام الضلال في البشر واذا رأيت اعمى له امل بالنور
احمل على امله حتى لا يبصر لا في الحقيقة ولا في الخيال»
قلت · الياس الياس ما الذي صار لك · قل لي ما انت
بذاك الذي اعرفه بالياس البقاعي اذ ترجل غيره ماذا دهلك
اجاب · اتظن ان اتعابي سنين طوالا غيرتني لا والذى
خلق المكاسب والمخاسر ان ما غيرني من الياس البقاعي
الذى تعرفه الى الياس البقاعي الذى تراه الان لهو التطفل
مني على انارة سبل الفالين فان التائه في سبيل حياته
لا ضمن حالا من الذي تفتح عينه العميا فيرى الكون

كله تحت باصرته ويجعل عينه فما واسعا يريد ابتلاء ما
يراه»

قال هذا وتنهى ثم قص على حكايته وكيف ألا إليه
الحال

«تعلم اني شغلت في الولايات المتحدة خمس عشرة سنة
احمل صناديق بضاعتي فاييعها على تجارنا في الداخلية وقد
جعلت شعاري في مطلع تجارتى حتى اخرها ان اكون مخلصا
لزبائنه ي نصوها لهم لاضمن حسن حالهم المعقود بنجاحي
وكان لي زبون في بلدة صغيرة في الداخلية اييعه من بضاعتي
كما اريد وامحضره النصح في المشترى والمبيع كانه شريكى
في العمل . وفي ذات يوم دخلت محله في احد الاسفار
فرأيت محله مزدحاما بالصناديق المكردسة هنا وهناك
وبالبضائع المبعثرة بلا ترتيب ولا نظام يبع زبائنه وفي
فيه سيكار طويل فقلت في نفسي

«غريب والله كيف انه يرزق مثل هذا الزبون وهو على ما
هو عليه من عدم الترتيب »

وفي تلك الساعة وانا انتظره ريثما يفرغ من سيدة كانت
تساومه على قميص لا جلس واياه واييعه قائمة بضاعة حرك
فكري سيكاره فقلت في نفسي يجـب ان اسأـل هذا الرجل
اـذا كان محلـه مضمـونـا في شـركـات السـوـكـرـتـاه فـانـ حـالـهـ

عرقة للحرائق فلاساله

وهكذا كان فعندما جلس تاساله عما هو بحاجة اليه من البضائع مالته انت مسوكر؟ فاجابني «نعم مسوكر عند هذا» قال هذا وأشار يده الى ناحية في محله فلم افهم معنى اشارته ولكنني ظنت انه اوما الى روزنامة معلقة على الحائط وفيها اسم الذي ضمن له المحل ولهذا ملت عن زيادة الاستفهام واستأنفت الشغل ويدي قلمي اكتب به مطلوبه من الاصناف

وفي منتصف العمل عاودتني فكرة الضمانة فكررت عليه سؤالي قلت له «قلت لي ان محلك مضمون ولكنني لم افهم عند اي شركة من شركات الضمانة فاعاد الي اشارته باصبعه وقال «قلت لك عند هذا هذا الا تراه»؟

اما انا ففرست على خط مستقيم من اصبعه الدال فلم اجد سوى صورة ولكنني خجلت منه فلم استوضحه اكثر ومضيت في شغاي ولما انهيت كتابة القائمة وقد بلغت نحو خمسة الاف ريال طويت القائمة وخبأت بضاعيتي ووقفت متربدة محترارا بامری كاني كنت ناسيا شيئا ولم اكن بالناسى ولهذا ظللت واقفا موجما وزبونی يتضررني لاصافعه واودعه واذهب من محله

عندئذ قلت له، اسمح لي قبل ان اودعك ان انقل اسم

الشركة التي ضممت لك محلك لأن ذلك لازم لدفاتري
فكل زبون يجب أن اعرف الشركات التي تضم محله
«فضحك مني وقال «عجب امرك قلت لك عند
هذا عند هذا الا تراه»؟

فقلت لا ارى غير صورة
فقال «نعم صورة ولكنها ايقونة مار انطونيوس شفيع
كتيستنا في الضيعة»

هنا ابتدات رواية مضحكة فسريعني قليلاً وضحك
أولاً ضحكة افتح لها قلبي لسعادة زبوني وبعد ذلك بلهجة
ازدراء خفي . العمل مار انطونيوس عنده شركة للسوكرتاه
وكم سعر الالف عنده؟

فقال «كان الناس يشرون علي بالسوكرتاه وانا اوصل
الامر حتى لم يدع لي من حجة عليهم بالاموال وكل الوكلاء
الذين قصدوني للسوكرتاه طلبوا مني مئة وخمسين ريالاً
فقلت في نفسي ارسل مقابل ذلك مئة ريال لمار انطونيوس
كل سنة وهو يحمي محلي احسن من اي انسان لأن عجائب
مشهورة وهو حامي ضياعتنا فاوفر خمسين ريالاً وافع بلدي
وقديسها»

فقلت . ولكن اذا احترق محلك بماذا يعوض عليك مار
انطونيوس انه يأخذ منك كل سنة مائة ريال ولا يعطيك

سنتا واحدا اذا احترق محلك لا سمح الله اما الشركات
فانها تأخذ منك مئة وخمسين ريالا ولكنها تدفع لك كل
سنت تخسره اذا احترق المحل

وجلست ساعتين بكمالهما انير بصيرة ذلك الزيون حتى
افهمته ان المسالة ليست للحماية فمار انطونيوس عجائبى
وعظيم ولكن لا يعوض على الخاسرين اما الشركات فانها
لا تحمي ولكنها تضمن الخسارة . ولم اذهب من عنده حتى
افهمته كل شيء بهذا الصدد واقنعته ان يستدعي احد وكلاء
شركة الضمان ليضمن محله

في تلك السنة احترق محل زبوني المسكين وبعد اسبوع
وردني منه خبر ان الشركة اعاشرت عليه الخسارة بعشرين
الف ريال وقد ارسل الي داخل الرسالة حواله على البنك
بكل حسابي معه . فكبت اعلم انه يعبر بما جرى وان
يفتكر قبل ان ينشئ محله الثاني بأمر الضمانة فلو لا مراح
الله التي ساقتني اليه تلك المرة لاني بصيرته واحول
السوكتاه من مار انطونيوس الى احدى الشركات لكان
حضرته في هذا الوجود واتعباه سنين عديدة في ذمة ذلك
القديس

بعد سنة واحدة احترق محله ثانية واستدعيت الى بلده من
الحكومة كاحد الدائين الكبار وقد كان لي بذمه اثنا

عشر الف ريال وهناك مكثت يومين ومن هناك عدت الى
 نيويورك كما ذهبت وزبوني في السجن بدعوى احرقه
 محله عمدا فقد عثر البوليس على شمعة مخصوصة لا يقاد
 النار في المحل ولم تأت عربات الاطفاء حتى كانت النار
 قد التهمت الاخضر والابيض وفي الاستطاق اقر انه وقد
 انوار ليأخذ الوف الريالات من شركات السوكراته وقد
 اخبر المحكمة اني انا سبيه ولهذا دعتني للشهادة فاخبرت
 القاضي بالقصة من اولها الى اخرها وما اخرها الا عودتي
 من تلك البلدة خاسرا ارباحي واتعابي خمس عشرة سنة
 عند ذلك الزبون وهذا ثمن فتحي باصرة اعمى وارشادي
 ضا لا وقيادي ساذجا الى طريق العرفان

وقال اي صديقي الياس البقاعي خاتما لحكايته التي
 اثرت بي كثيرا

«او تلومني لماذا اقلبت من الياس تعرفه الى الياس
 تراه وتسمع به في هذا الحين يضليل الناس ويعمقهم في
 ضلالهم !

يا ليته يقي مسوكرا عند مار انطونيوس بل ياليتي لم
 افتح بصيرته وارشدته الى الضمانة الحقيقة التي علمته ارتكاب
 الجرائم»

سیحان النادر

سمعان النادر

هكذا يسمونه اليوم «سمعان النادر» وقد كان اسمه قبل ان هاجر الى اميركا سمعان فقط . لم يكن احد يعرف كنيته ولكنـه كان رجلا مشهورا بقبائـه حتى اغنى اسمـه عن كـنيـته فـكان اـسـمـ سـمعـانـ كـافـياـ فيـ تـلـكـ المـقـاطـعـةـ السـوـرـيـةـ لـيـعـنـيـ لـدـىـ كـلـ وـاحـدـمـنـ سـاـكـنـهاـ رـجـلـ شـدـيدـ القـوـةـ يـقطـنـ الـكـهـوفـ فـيـ الجـبـالـ يـتـرـصـدـ اـبـنـاءـ السـبـيلـ لـيـفـتـكـ بـهـمـ وـيـسـلـبـهـمـ حـوـائـجـهـ

ولـكـنـهـ بـعـدـ مـرـرـ سـنـوـاتـ عـلـىـ حـيـاتـهـ تـلـكـ المـرـةـ اـرـادـ انـ يـتـوبـ فـلـمـ يـفـلـحـ لـأـنـ النـاسـ فـيـ قـرـيـةـ لـمـ يـصـدـقـواـ تـوـبـتـهـ وـالـحـكـومـةـ لـمـ تـكـنـ لـتـابـهـ لـهـ بلـ كـانـ رـجـالـهـ يـلـاحـقـونـهـ مـنـ قـرـيـةـ إـلـىـ أـخـرىـ حـتـىـ اـنـقـطـعـ رـزـقـهـ وـكـادـ يـجـوعـ فـيـ حـيـنـ لـاـمـلـ لـهـ بـالـخـلاـصـ مـنـ عـيـشـهـ عـلـىـ تـلـكـ الصـورـةـ

ولـهـذـاـ هـاجـرـ سـمعـانـ اـمـاـ كـيـفـيـةـ حـصـولـهـ عـلـىـ المـالـ الذـيـ لـزـمـهـ لـلـنـفـقـاتـ فـاـمـرـ لـاـ يـحـتـاجـ إـلـىـ اـيـضـاـحـ لـاـنـ مـنـ اـعـتـادـشـيـئـاـ وـارـادـ الرـجـوعـ عـنـهـ فـلـمـ يـسـتـطـعـ لـاـ بـدـ اـنـ يـعـودـ اـلـيـهـ . فـالـلـصـ اـذـاـ تـابـ ثـمـ اـحـتـاجـ إـلـىـ مـالـ يـعـودـ لـصـاـوـهـ هـكـذـاـ سـمعـانـ رـأـيـ انـ الـضـرـورةـ تـدـعـوهـ لـلـهـجـرةـ . إـلـىـ اـمـيرـ كـاـ هـرـبـاـ مـاـ هوـ فـيـهـ مـنـ سـوـءـ الـحـالـ وـالـضـغـطـ الشـدـيدـ عـلـيـهـ مـنـ الـحـكـومـةـ وـبـالـرـغمـ

من افكاره بالتوبة عاد مضطرا الى طرق الجرام ليقضي
لباته

وجاء سمعان الى اميركا و كان قد درس حياة السوري
فيها من بعض السوريين الذين صادفهم في مرسيليا وعلى
اباخرة من الذين كانوا سابقا في اميركا ثم هاجروا اليها
ثانية فعرف منهم ان مثله لا يستطيع ان يأتي بحركة الا
اذا كان يقبل ان يعيش اجيرا يرضى بالكافاف من العيش
ولهذا قبل ان يضع رجله على اليابسة صمم النية على ان يقوم
بمشروع كبير يجمع فيه المال الكثير من ابناء بلاده
المنتشرين في طول اميركا وعرضها

ولم يلبث سمعان بضعة ايام في نيويورك حتى استدل على
بعض عناوين لاناس يعرفهم في الداخلية فقصدهم ونزل
عليهم و كان على غير ما يأملون ان يروه مثال العفة واللطف
والمسكنة

والصيت اذا تحرك يسبق الريح وقد تحرك صيت سمعان
بانه قدم الى اميركا ليكفر عن خطایاه التي ارتكبها في
سوريا و انه تاب اليه تعالى وقد نذر ما بقى من حياته في
خدمته ولهذا جاء ليجمع من اهل بلاده نورا لكنيسة وطنية
تبني في قريته

سمعان الشقي قادم الى اميركا ليجمع نورا؟ ولماذا

لا؟ فما على المشكك الا ان يجتمع به خمس دقائق فيرى انه بالحقيقة تغير من شيطان جهنمي الى ملاك ارضي . رجل مسكون يبدأ تناول انطعام برسم الصليب وينهي الاكل بالصلوة ويجلس في قوم لا يتكلم الا اذا سئل . لا يتدخل في خصوصيات الناس ولا يقول الا الشيء المرضي الجميع يكثر من ذكر ايات الله وطاعته في كل حال من الاحوال . واما ذكر امامه احد الناس تضرع الى الله تعالى بتوفيقه . واما نفعه احدهم نذرا يغدق عليه الادعية الحارة . الى ما هنالك من هذا السلوك الذي كان ادعى الى دهشة العارفين اياه او السامعين به من ان يروا كوكب الصبح اتيا بمريبة نارية بجانب المسيح

ولهذا سمي في ديار الهجرة «سمعان النادر» لانه نذر نفسه لله تعالى وتاب عن ضلاله موءمنا بالآخرة . وعلى هذا الاسم طارت شهرة الرجل فطفق يجول في اميركا من بلد الى بلد اخر ومن ولاية الى اخرى يختلط بالناس مظهرا لهم كل مسكنة داعيا اياهم الى تكريسه قليل من المال في خدمة الله لقاء تكريسه كل حياته من اجله تعالى وكان ان صيته وصل الى البلاد وهناك انتشر بين جميع السكان ان سمعان قد نذر حياته لخدمة الرب وفي البداية صعب عليهم التصديق الا ان الاخبار الواردة متتابعة

من كل جهة كانت توئيد الخبر حتى امن عليه الجميع
وصدقوه فصار اسم سمعان عندهم يعني التوبه والندامة بدلا
من الرذائل بكل فروعها

اما سمعان قثابر على عمله مثابرة شجعه عليها اقبال الناس
على مشروعه وتالبهم على مساعدته حتى انهم في بعض
الاماكن انشروا من اجله لجنات للأخذ بناصره وعينوا
من قبلهم وفودا يدورون معه من منزل الى اخر ليجمع ما
تجود به ايادي المحسنين فكان الناس يغدقون عليه الاموال
بعضها للنذر وبعضها تعطى اليه بصفة شخصية لنفقة خاصة
فكان سمعان يضع الكل في جيب واحد قائلا للدافعين انه
لم يأت امير كما ليجمع لنفسه بل لله ولهذا يخلط الكل معا
ليذهب الى صندوق الله

وكان يجمع بقعة تأثيره على عقول الناس الذين عرفوه
لصا وقاطع طريق ثم راوه تقىا ونادرا حياته لله اما الغرباء
الذين عرفو عنده شيئا فكان اكثرهم يكثر عليه السؤالات
وبعضهم يسأله عن ورقة الاذن من مطران او خوري او
جمعية فلم يكن يغير جوابا على ذلك ولكنه كان يستعين
بالذين حوله ولا يقصون على الناس تاريخه المجيد وكيف
انقلب من شيطان الى ملائكة ومن ذئب الى حمل وهذا كان
كافيا شر السؤالات ومحنيا عن الف اذن او ورقة هو نيابة

الا ان سمعان في السنة الاخيرة شعر بميل الناس عن
 مشروعه قليلا فصار يخشى الانحراف في جماهير الناس لان
 بعضهم كان يسأله عن المقدار الذي جمعه فما كان يجيب
 الا بأنه لم يحصه بعد وان بركات الله تضر في المجموع
 اذا عده . وبعضهم صار يسأله عما اذا كان ارسل منه شيئا
 الى البلاد فكان يجيبهم بان يقلب الحديث من امير كالى
 الصين تخلصا من الاجوبة وهربا من التعمق في هذا الموضوع
 الذي يكره فتحه والتداوول به خوفا من التحري
 اخيرا عزم سمعان على الرحيل والعودة الى الوطن فام
 نيويورك مزودا بالادعية من نساء ورجال وكلهم كان يتمنى
 اجره في الآخرة ويحسد على مكانته في عالم التقى والصلاح
 ويأمل ان ينفعه الله بادعية سمعان بفضل ما تبرع به من
 اعمال الذي حصله في امير كالى بعرق القرية
 وعاد سمعان النادر الى بلاده في عام ١٩٠٣ واول شيء
 فعله ان دخل انى قرية مسقط راسه دخول الشهير المعروف
 بفضله وقد زاره كل سكانها في اليوم الثاني وصاروا اليه
 اقرباء ومحبين وهو صار مقربا من الجميع ومحبوبا ولم يعد
 من احد يخشى شره و يتجلبه
 ولم يمض الشهر على وصول سمعان النادر الى قريته
 حتى بدا بالبناء فراجعت الاشاعات عن انه بدا ببناء الكنيسة

فكان اذا ساله احدهم يهز راسه دون ان يفتح فمه بكلام ولكن شد ما كان عجبهم منه عندما قامت البناء على الاساس وظهرت ييتا لا كنيسة فعادت الاشاعات الى الظهور بأن سمعان يبني باموال الذي جمه في اميركا بينما لنفسه بدلا من بيت الرب . وقد وصلت الاخبار عن ذلك الى اميركا فعجب الناس منها وندموا على ما فعلوه نحوه وما قدموه اليه من الاحرام والاحتفاء وصاروا يوبخون بعضهم بعضا كيف انطلت عليهم حيلته وكيف انهم لم يتحرروا منه
منذ البداية

اما سمعان النادر فلا يزال حيا يرزق وبالرغم من ان سنوات الحرب اودت بحياة تسعه اعشار القرية التي يسكنها فإنه ظل وعائلته حيا وزادت ثروته عن ذي قبل اضعافا وقد زاره مواطن له عاد من اميركا بعد الهدنة وعندما ساله عن اموال التبرعات التي جمعها قال انه بنى بها ييتا للرب وانه سكن البيت لأن الرب لا يسكن البيوت ولما كان هو نادرا نفسه للرب تكفيرا عن معاصيه اضطر ان يسكن البيت الذي انشأه من اموال المتبوعين الى بيت الله فساله ذلك الزائر . كيف رأيت المهاجرين السوريين في اميركا؟

فقال انهم ذوو قلوب سليمة ولا يردون طالبا خلا نفرا

منهم اكتسبوا من امير كا قلة الدين فهم يهزاون بالمشاريع
العومية ولا يهم شان وطنهم
ـ او انت تلومهم؟

ـ نعم الومهم لأنهم يعاكسون على ذوي الامال في وطنهم
فلولا اولئك المتفلسفين القليلي الدين لجمعت مبلغا كافيا
لتشيد كنيسة في هذه القرية ولكن المبلغ الذي جمعته لم
يكن ليبني زاوية من كنيسة

ـ ولهذا السبب يظهر انك بنيت بيتا لنفسك بذلك
الاموال لثلا تذهب ضياعا اليك كذلك ؟

ـ نعم لهذا السبب عينه

ـ الحق معك ما اطيب قلوب المهاجرين واسلم نياتهم
على اني ادعو لهم بان يكثر عدد الذين نذروا حياتهم
للرب مثلك ينهم لعلمهم يتعلمون ويتعظون



حِبَالُ الْغَسِيل

حجال الغسيل

نيويورك بلد عظيم فيه من الخلائق ثلاثة اضعاف سوريا من العريش الى الطوروس ومن البحر الى الصحراء ولهذا فمن اعتاد الفضاء لا يهنا له عيش في قفص مدينة الجيل العشرين وكثيراً ما ندم كهول وشيخوخة بهم الى نيويورك على قدمهم فجلسو الى زاوية من زوايا البيوت يندبون الحظ ويلعنون الساعة التي وصلوا بها الى هذه البلاد التي بالرغم من كل عظمة فيها لم تكن عند امالهم وتتصوراتهم فان ركب الحمار الى الغدير والمشي الى الكرم في وسط الغبار والطين والنوم على المرج في ساعة الظهر ابان تلہب اشعة الشمس الجماد اجمل في نفس ابن سوريا القديم من الوقوف في شارع برودوبي حيث تزدحم الكارات وانسيارات والعربات يلتفت المارون هنا وهناك ليروا لانفسهم مخرجاً يعبرون منه الى ناحيتهم المقصودة امنين الاخطار . والكونخ المبني من اغصان الشجر القائم في الكرم اجمل لامنام على سرير في منزل لا تدخله اشعة الشمس دقيقة في السنة . والجلوس عند النافذة في البيت السوري حيث يمتد البصر الى اميال فيشرف الناظر على الاكاما والاوادي اجمل من بناءه ولورث ذات الطابق الثمانى والخمسين . والقمباز الذي يستطيع

معه لابسه ان يجلس به كيما شاء القرفصاء والاربعاء آنا
 متكتأ واخر متتمدا دون ان يشعر بشيء يشد على ساقيه
 وفخذيه وركبيه اجمل والطف من التقيد بسلاسل البنطلون
 ظل العم ابو غانم يراسل اولاده في نيويورك ملحا عليهم
 بان يستقدموه اليهم وهم بالرغم من توفيقهم بالاشغال لم
 يكونوا يرون مناسبة في استقادامه لاملهم بالاوبة الى الوطن
 حيث يجتمعون به بعدما يكونون قد جمعوا مبالغ من المال
 تكفيهم موعونة العنااء في هذه الحياة الا انهم لكثره ما الح
 عليهم اتفقوا على استقادامه فائلين انهم يصرفون معه بعض
 السنين ثم يوءوبون كلهم ان لم تعجبه حياة اميركا.

كان العم ابو غانم في الطريق الى نيويورك يتامل في
 عظمة اميركا كما ترسم اليه مخيلته حسبما كان يسمع املا
 ان يصل اليها بالسلامة واذا مات بعد اسبوع لا يهمه لانه
 بذلك يكون قد حصل على امنيته وزار الجنة ولكنه منذ
 وصل ابتدأ يشعر بنفسه انه كان مغرورا بتصوراته التي لم
 ير لها اثرا في نيويورك وما قطع بضعة أيام حتى صار يشعر
 بميل قوي عن عظمة اميركا وبشوق عظيم انى حالة قريته
 الخالية من كل اثر للمدنية.

ولم يكن العم ابو غانم ليعمل عملا في نيويورك لأن
 انجاله كانوا بغنى عن عمل ايهم الشيخ وما كان همهم

بعد وصوله الا تكيف خاطره وراحته وتسلية عن تشوقاته
 الى الوطن فكلما وجد احدهم فراغاً عنده صحب اباه الى
 فرجة من فرج نيويورك ومتزهاها ومتاحفها العظيمة ليسليه
 ويسري عنه ظنا منه ان اباه لا بد ان يعجب بالعظمة
 والضخامة اللتين يشاهدهما فيشغل بما يراه عقله وافكاره ولا
 يعود لذكرى القرية والوطن . الا ان العم ابو غانم لم يكن
 ليرى في كل ما وقعت عليه عينه من العظام الاختراعية
 والاصطناعية والتاريخية ما يدهشه فكان انه عندما مشى
 جسر بروكلن من الاول الى الآخر ورأى البواخر العظيمة
 تمر تحته والقطارات المتتابعة والآلات المتلاصقة والعربات
 المتسارعة قال لرفيقه من ابنائه ان الجسر على الساقية
 في طريق الکرم اجمل من كل هذا وان غرفة من مياه
 ذلك الجدول افضل من كل ما في اميركا وان غسل
 الرجلين في تلك المياه الباردة الذ للنفس من هذه الفخامة
 والعظمة . وعندما رجع به احد ابنائه من برونكس بارك
 ساله رايته في القطار العالى الذي كانا عائدين عليه فقال
 ومعدته تصعد وتنزل وراسه دائم ونفسه زاهقة: ان الحمار
 الذي كان يركبه من الضياعة الى غيرها اجمل في عينيه
 من كل ما في اميركا من القطارات والعربات . وعندما الح عليه
 ابناءه بان يلبس القبة ويعقد الرابطة نيدهبا الى الكنيسة

كاد العم المسكين يبكي من غيظه ولم يدخل على الكنائس
وامير كا بمسياته وعلى حظه وغزوره باللعنات والتجديفات
وقد قال لاولاده: ما هذه العيشة التي تعيشونها في هذه
البلاد الجهنمية هناك بلاد الراحة لا ربطه في الرقبة ولا
عقدة على الخناق ولا سلاسل على الوسط ولا قيود في
الرجلين اه يا بلادي لو يسمح لي الدهر ان ارجع واعيش
اسبوعا واحدا تحت سمائها ثم اموت فتكون عيني شبت
ومت مطمئنا!

ومضى على تذمرات العم بو غانم نحو من سنة وكرهه
لكل ما في امير كا يزداد يوما عن يوم وابناوه ينفقون ما
استطاعوا لتسليه خاطره وتنزيهه عن الهموم المتبلدة في راسه
ولكن عبثا حاولوا نزع ما انطبع على صفحات دماغه من
ان كل عظيم في امير كا ليس بشيء عجيب وان البساطة
في سوريا وخلوها من اثار العظمة مما يجعلها جنة النعيم.
وقد صار العم بو غانم مضرب المثل بأنه لم يوجد في
امير كا ما يعجبه حتى صار اذا جلس بين قوم في سهرة او
زيارة يقضي الوقت بمناظرة الاخرين بان كل شيء في
بلادنا اجمل وان ما يقابلها في هذه البلاد ليس بعجب ولا
عظيم فبلغ المكارى احسن من قطار العجيل العشرين
وجسر الساقية اجمل من جسر بروكلن وطريق الكرم احلى

من الافنيو الخامس ومرعى الماعز اظرف من الستراو
 بارك والنومة تحت البلوطة اهنا من النومة في القصر الا يضى
 الى ما هنالك من تعاليل رجل قطع الستين من عمره وصارت
 بلاده وان تذمر منها حينا كل شيء في حياته بل هي حياته
 وبناء على هذا صارت احاديث العم بو غانم من المسليات
 للسامعين تضحكهم تباينها بين حالة سوريا البسيطة ومعالم
 اميركا واختراعاتها فقط لم يقر لامير كا بشيء من المعجبات
 الا مرة واحدة وكان ذلك في سهرة حافلة وفي اخرها بعد
 ما فرغ من خطه من قدر كل اختراع وعظيم في امير كا
 واد ساله احد الحاضرين:

— اي يا حضرة العم بو غانم بالله عليك قل لنا الم تر
 في كل امير كا ما يعجبك؟

فاجابه العم بو غانم وقد اغمض عينيه لحظة ثم فتحهما
 وهز راسه هزتين بطيئتين وتنحنح قليلا فسوى قعدته وفتح
 فمه بالكلام فقال:

لم يغيرني بكل ما رأيته في هذه البلاد الا امر واحد
 وهو جبال الغسيل فقد شاهدت حواجز الغسيل معلقة على
 الجبال من بيت الى اخر على مسافة بعيدة فكيف توصلت
 الغسالة الى تعليق الحواجز على الجبل امر لم استطع حلها فلت
 في عقلي ان المشي على الجبل ليس بالهين ومع ذلك

فالجبل اضعف من يحمل امراة وفي يديها حوائج للتعليق
و اذا امكنها ان تمسك الجبل ييد من يديها لتنقل الى وسطه
فكيف تتمكن من تعليق الحوائج وربطها بالجبل ييد واحدة!
هذا ما حيرني وهذا ما ادهشني !

ولَا حاجة الى وصف ما كان بين العالسين السامعين
بعد كلام العم بو غانم فان رب البيت صار يرجوهم ان
يخفقوا اصواتهم لثلا يصد البوليس اليهم فيعنفهم على
ضوضائهم ولما شبع القوم من الضحك عاد العم بو غانم الى
حديثه فقال: والله اني راجع في هذه السنة الى البلاد
وسوف اجبر الاولاد على ان يشتروا بكل ما معنا من المال
حيانا من اميركا فاننا نستطيع ان نبيعها بارباح طائلة في
كل المدن . السورية .

فاجابه احدهم ولكن عليك ان تشتري ايها الايدي التي
تعلق الغسيل على تلك الجبال .



ما فيها شيء

ما فيها شيء

امير كا اعظم مدرسة يدرك فيها المرء علومه في الحياة
ويكتسب خبرة تعود عليه بالنفع الحسي اذ يجعله رجلا
قادرا على الانخراط في هذا المترنح العالمي مما لا تأتيه
المدارس ولا الكليات ولا الجامعات

الا ان هذه المدرسة العظيمة كثيرا ما يظهر فيها وباء
اجتماعي هائل وعوارضه اتفاق الاوداج مع ضيق في
الجبين وقد بحث الاطباء بهذا الوباء فما وفقوا الى معرفة
اصله وادراك اسراره فبقي عنهم مكتوما لا يستطيعون وصف
علاج لمحوه من عالم الوجود

هذا الوباء الوخيم اصيب به مهاجر سوري بعد سنة من وصوله
الى امير كا في احدى مدن الداخلية وقد جاءه عن طريق
العلوى اذ زار يوما صديق له فراه يطالع في احدى
الجرائد العربية وكان هو يحسن القراءة البسيطة فقط لا
غير فجلس الى جانب صديقه يشاركه في المطالعة فسرهما
المناظرة بين صاحب الجريدة وزميل له او بالحرى المهاجرة
والمساتمة وطفقا كلابهما يسبحان بحمد كاتب تلك المقالة
لقوة عارضه وتبريزه باستعمال الكلام الجارح وقد تشوقا
كثيرا المعرفة ماذا يقوله المناظر ردآ على ما قرأاه في جريدة

«السناء» فاتفقا اثذ على ان يشترك نخلة الطبطابي بالجريدة الثانية «منار الامة» ليتسللا بوجهه المنااظرة ويتلذذا بالردود والاجوبة وبماذا يقول فلان عن فلان وهذا عن ذاك ثم يحكموا على المبرز

بعد خمسة ايام جاءت جريدة «منار الامة» الى محل اقامة نخلة الطبطابي اما جريدة «السناء» فظلت ترد على صديقه ديب ابو غانم فكان كل يوم يجتمع الاثنان فيطالعان الجريدين بانعام نظر ولذة فائقة وكانا يختلفان اونه ويتفقان اخرى على من كان الاقوى حجة من المتناظرين او بالاحرى المتشاتمين

وظل الصديقان كذلك حتى انتقلت منهما الرغبة في مطالعة الصحف العربية الى التحزب كل منهما للجريدة المشترك فيها . فصارت اجتماعاتهما لا للذلة بالمطالعة كجاري العادة بل للمناظرة بينما حول اي من الصديقين تضرب على وتر الحقيقة ومن من الصحافيين اقوى قوله وادعم حجته

وظل هذا المكروب السام يتقوى في دماغ كل من هذين القارئين حتى عشش فيما وبني صروحه الباذخة واول فعله بما انه حرك اوتار الحماسة فصار اذا طالع احدهما صحيفة يشارك صاحبها بنظراته ويسبقه بشتائمه ويتمني لو انه

قادر على الخوض في معركة كما ليكرس الصحافي الآخر
 ثم تدرج بهما فعل ذلك المكروب إلى الاختصار فالعداء
 واتتهى الأمر أن صار الصديقان عدوين إذا رأى أحدهما
 الآخر حول عنه وجهه أو بصره على الأرض متمنياً بعض
 الكلمات لا تكاد أذنها شفتيه تسمعها. وبلغ بهما العداء إلى
 درجة إنما أصبحا يرددان الإيقاع كل بالآخر
 بعد أيام جاءت جريدة «السناء» فكاد لب ديب غانم
 يطير فرحاً إذ رأى اسمه بديل مقالة تبلغ العمودين من
 الجريدة وقد قرأها ديب مراراً واخذها بيده إلى جيرانه
 والسرور مالىء وجهه والرقص يقيم قلبه ويقعده فكان
 يدفعها إلى الجيران ليطالعوا مقالته ضد صاحب جريدة «منار
 الأمة» ولما دخل على أحد السوريين ودفع إليه عدد الجريدة
 ليقرأ فيه مقالته أجابه ذلك السوري بأنه لا يعرف القراءة
 ولكنه رجا منه أن يقرأها له فظل ديب نحو ساعة يهجن
 الكلمات ويعيد العبارات من الأول إلى منتصفها ثم يعيدها
 ثانية حتى يتوقف إلى اجتيازها حاملة شيئاً من المعنى وأحياناً
 يبلع الكلمة أو كلمتين أو يتقياً من فيه كلمة أو اثنتين ليستر
 حاله وتارة يهز رأسه ويسكب في وكيل الجريدة لتغييره بعض
 الكلمات

والحق إن المستر ديب أبو غانم كتب إلى صاحب

جريدة النساء يخبره انه واقف معه وانه يود لو انه يستطيع الكتابة ليسلق ذلك الصحافي العدو سلقة قوية . فما كان من صاحب جريدة النساء الا انه حبر مقالة ترقص لها عجائز وائل وامضها ديب ابو غانم . فكان ما كان من فرح صاحبنا ديب

وبلغ مسمع نخله الطباطبائي ما كتبه صديقه بالامس ديب ابو غانم عنده اليوم في جريدة النساء فاحتدم غيظاً وتأكلت كبدته نار الحسد اولاً ثم لعب بدماغه ذلك المكروب فترك عمله وطاف على السوريين يسألهم ماذا قرروا بامضاء ديب وحاول ايجاد عدد من «النساء» فلم يفلح لأن ديب كان المترک الوحيد فيها

ظل نخلة تابي عيناه المدام كل الليل فكان ينهض من سريره طالباً لنار قلبه مخرجاً الى الناحية التي يريدها لينتقم من جاره الى ان هونها الله عليه فقال في نفسه: عجباً اني اعرف ان ديباً يهجن الكلام في القراءة فكيف كتب مقالة في الجريدة . ثم قال انه اذا كان ديب يستطيع تحبير المقالات فنخله الطباطبائي اي هو نفسه يمكنه ان يوَّلْفَ مجلد واداً كان من اغلاظ فصاحب الجريدة يصلح حاله وكل من سار على الدرب وصل . اخذ نخله يميناه قلماً وكتب رسالة طويلة عريضة بخطوط تشبه خطوط الانهر على

الغريطات واسباعها سبا وشتما بصاحب جريدة السناء ومكتابها
 ديب ابو غانم ولما انهاها تنفس الصعداء وفرح فرحا لامزيد
 عليه ثم وضعها بظرف وسيرها بالبريد الى جريدة منار الامة
 وسارت على الطائر الميمون فوصلت ادارة الجريدة حيث
 همل لها القوم ورجعوا ترحيبا
 ولا حاجة الى ان نقول ان نخله ظل خمسة ايام يسائل
 نفسه انشر منار الامة له رسالته ام لا . حتى جاء عددها
 وما كاد يقرأ امضاه تحت صفحة بكمالها حتى اصبح
 كالماخوذ من شلة فرحة فكانت خطواته تنقله على الارض
 كالحجل العاشي يدخل بيته ويخرج منه الى اخر حتى ادخل
 فحوى رسالته الى راس كل سوري في ذلك البلد
 وامتد خلاف نخله وديب الى الجالية السورية عموما
 في تلك المدينة فانشطر القوم فيها شطرين هذا يلف لف
 صاحب السناء وذاك يلف لف صاحب منار الامة وصارت
 الاجتماعات السورية في المنازل والحوانيت اشبه بيت
 البورصة الصياح سلطان والخطب بالايدي قائد فرسان
 والسياب والشتائم جيوش جرارة حتى اضطر الجپران
 الاجانب الى رفع تظلمهم الى البوليس
 وظل القوم على هذه الحال حتى تاملت العداوة بين
 الحزبين ونتج عن ذلك انتشار الجريدين في انبلد حتى

انه لم يكن من سوري يعرف القراءة او لا يعرفها الا وطلب
الجريدة التي تحزب لها مشتركا اما بعد او باكثر . ومضت
الشهور وكتابات ديب تصارع كتابات نخله على صفحات
الجرائد الى ان تلاشت الاسباب

وذلك ان عقلا القوم في نيويورك او الذين يخافون على
جلودهم من سياط اصحاب الجرائد اجتمعوا في احد الصوانين
قررروا مصالحة الصحافيين وباحبولة سياسية تمكنا من
الجمع بين الضدين فصالحوهما وكسوا يد كل منهما بتشك
 مليح

ذكرت الجريدةان الحادثة في الصوالين وكل منها
اشارت الى ان العداء منها ضد الرصيفية لم يكن الا نتيجة
سوء فهم وان المنازرة المنزهة عن الشخصيات لا بد منها
ولهذا فهي لا تحمل حقدا لجارتها ولا لصاحبها ولما كان كل
سبب قد زال فانها تصافح رصيفتها مصافحة اخوية للنهوض
بهذه النزاله المحبوبة الى ما يوئمل لها من ذروات التقدم
والارتفاع

ولا تسل ايها القارىء كم احدث هذا الخبر من الاستائز
في نفس كل من ديب ونخله وفي تفوس كل السوريين
في البلد الذي كانوا مقيمين فيه وقد دهش القوم لهذا
الصلح الذي جاء بغیر او انه فافسد عليهم اللذة التي كانوا

يتناولونها من مطالعة الصحف العربية

وبعد ايام ظل القوم على العداء بين بعضهم البعض وانما دون اجتماعات ولا مُعالجات ولكنهم كانوا واحدا واحدا يرجعون الجرائد الى اصحابها معتذرين لانفسهم عذرا على عدم استطاعتهم الاشتراك في الوقت الحاضر
واجتمع الصحافيان اجتماعا في احد الصواليين فسأل الواحد الآخر كيف الشغل؟

— ايام المناظرة كان ولا احسن منه!

— نعم هكذا كان حالى واما اليوم فالاعداد المرتجمة تزداد يوما على اخر

— يظهر ان القوم لا تلذهم الجرائد الا في حال المناظرة

— اذا كانت المناظرة من المروجات فلماذا لا تنتظر

— انا ارتاي ذلك فلتبدأ غدا وانا اكون البادئ بمقالة

من «كعب الدست»

جمعتني احدى السهرات برهط من القوم وكان بينهم رجل يطالع احدى الجرائد العربية برغبة فائقة غير مكترث باحاديث القوم فدنوت منه ودفعت اليه جريدة كانت بعيبي حفظتها لمقالة فيها لم اقرأ ابلغ منها بموضوعها بعنوان «حياتنا السورية» وقلت له — يظهر انك تحب المطالعة

فخذ هذا العدد واقرأ المقالة الفلانية

فتناول مني ذلك العدد وبعدما اجهد نفسه بمطالعة العنوان
 مع السطر الاول طواها واعادها الي قائلًا «ما فيها شيء»
 ثم استأنف القراءة في الجريدة التي كان يطأها فتطلعت
 الى الموضوع الذي كسب شوقة الزائد في قلب السهرة
 الحافلة فرأيته يقرأ خطوطاً تحت عنوان «ذلك الصحافي
 السالف»

فرجعت الى مكانني مردداً عبارته «ما فيها شيء» ولم
 اعد احشر نفسي بين القوم فيما بعد



الماء يتكلّم

المال يتكلم

في اول ستين لوجود موسى البدل في امير كاسعد بثروة
 ليست بالقليلة اذ كانت المهاجرة السورية لم تزل تكتب
 الصفحة الاولى من تاريخها . وقد كان يقدرها الناس بصاحب
 خمسين الف ريال وبعضهم يضعه فوق هذا المقام من الثروة .
 والحقيقة انه هو نفسه لم يكن عارفا بمقدار ما معه بال تمام
 لأن الغنى جاءه لام ساعته فلم يعطه فرصة للعد والحساب
 ولم يكن حضرته يأمل بمثل هذه الثروة الا انها اته عفوا
 بفضل الاحوال والصدف وما اكثراها في هذه البلاد
 بعد ما حار في هذه الدرجة من الغنى افتتح محل رسميا
 واستخدم ماسكا لدفاتره ومعينا له في العمل وقد عين
 علما له في بعض البلاد الاوروبية والاسيوية وكثرت
 بضائعه وتراكمت وافتتح حسابا في البنك وطبق يبيع
 ويشتري واذا كان التجاوز اصطلعوا على اقفال محالهم عند
 الساعة السادسة كان حضرته يتناول العشاء في محله
 ثم يستأنف العمل الى ما بعد العاشرة ليلا وظل يعمل
 باجتهد كلي النهار كله وبعض الليل حتى جاء راس السنة
 الجديدة فعمل حسابه بعد تقويم المحل فوجد انه لم يربح
 الوفا من الريالات بل بضع مئات تنقص عن نفقاته الخامدة

لم يفتكر ان السنة الاولى هي سنة تاسيس لا يلقى
عليها امل كبير بارباح كثيرة ولما كان قد اعتاد ان يربح
خمسين الف ريال في ستين فقد مقت المحل الرسمي
واسف للحالة السالفة اذ كان يتناول صندوق البضاعة
الاسطنبولية ويسعه قبل ان يفتحه بربع الف ريال نقدا دون
تقييد ولا نفقات محل وعمال . ولهذا عمد الى التغيير
فصرف الكاتب والمعين بسلام وظل هو في المحل ماسكا
الدفاتر وكل شيء ولو انه استطاع تصريف البضاعة
والرجوع الى حاله السالفة لما تردد ولكن كيف يمكنه
ذلك وقد علق بينك وزبائن له عليهم ديون وحسابات جراره
وعلماء لهم عليه حقوق وعندهم له طلبات ?

اضطر المسكين ان يظل تاجرا رسميا سنة اخرى وتبعتها
ثالثة ورابعة وخامسة وفي كل سنة يأكل اصحابه ندما
لانخراطه بالتجارة مع ان ميدان الربح واسع بغيرها او عن
غير طريق المحال وكان يشتكي الخلاص من تلك الواقعة
المشوءة ولا يجد لنفسه منفذ ليخلس برأس ماله القديم .
وكلما عن له التخلص صغر دائرة اعماله فكان كالبزاق
«يتي على ظهري علا» كل سنة ينقل الى محل اصغر
فاصغر اقتصادا وظنا منه انه بذلك يتغلب على النفقات

فتكثر ارباحه وما درى انه بذلك يضد الربح عنه ويقضي عليه بالابتعاد

وتحمل موسى البدل اتعابه زهاء العشرين سنة ظل فيها
مقدرا بخمسين الف ريال وكان يقول في نفسه حينما يفطن
لحاله : عجبا ففي تلك الايام برأسمال خمسين ريالا ربحت
خمسين الف ريال بستين ثم بخمسين الف ريال لم اربح
خمسين ريالا بعشرين سنة!

وهذه معضلة المعاوضة لم يكن ليحلها موسى البدل
او ليعرف سببها وكل ما كان يفتكر به امر المتصروف ففي
كل سنة كان يضيق على نفسه الخناق اكثر من قبل حتى
انتهى اخيرا امره بان اقفل المحل وصار صرافا
بالصرافة وجد موسى ان الفرصة للغناء **الكثير** قد فتحت
بابها امامه ورأى انه اصبح ذا مقام عزيز عند قومه وبالخصوص
التجار او لئن **الذين** كان يلح عليهم ويرجو منهم بذلك
وتواضع ان يؤثروه على غيره فيجاپوه ويشرعوا من بضايعه
ولم يرحموه صاروا عندما صار هو صرافا «**بانكير**» مثل
«**السمن والسكر**» فكانوا اينما صادفوه يهزون يده بشوق
زاد ويسالونه عن صحته وصحة العائلة ويشفعون سو الاتهم
بالتمنيات الحسنة ويعلونه بالزيارات البيتية الى ما هنالك
من ضروب المجاملة فكان موسى يتناول هذه المعاملة

بكل قلبه ورئيه اذ يتنفس تنفسه طويلة تستغرق دقائق
 لاعنا التجارة التي كابدها سنين ولم تعد عليه بارباح وكان
 فيها ممقوتا مرذولا متمالا بالمقام الذي احرزه بعدما صفى
 شغله وصار صرافا يفرض هذا وذاك وبعد ان صار الناس
 يقبلون يديه ليثق بهم وقد كان يقبل ايديهم وجها وفما
 ليوء ثروه على الشيطان ويساعدوه على تصريف بضاعته.
 الا ان دوام الحال محال فما جاءت سنة ١٩٠٧ بعاصفتها
 المالية في تجارة نيويورك حتى تقلقل سوق التجارة السورية
 وعقب ذلك افلامات اكثرها لزبائن حضرة «البانكير» السوري
 وخرج موسى من تلك الزوبعة فانعا بذهب ثلثة اربعاء
 ثروته وكل اصحابه الذين صيرتهم اصحابه ثروته المرحومة
 ومهنته التي جعلت له مقاما في عيونهم وانما سرعان ما
 تلاشى ذلك المقام وتحول الاصحاب الى اضداد وذلك
 الشوق الكبير عندما يتلاقون بعضهم الى كره وبغض وحقد
 مما لم يكن ليمحى

منذ اشهر غير كثيرة احب طائفة من الناس واكثرهم
 اصدقاؤه موسى البدل الا (انهم اليوم ارباب محال تجارية)
 ان يعقدوا اجتماعا يدعون اليه كبار القوم ليتداولوا بامر مهم
 فكتبوا اسماء عديدين من تجار وادباء وشبان وباعة جزدان
 ولما ذكرت لهم اسم موسى البدل سمعت من افواه الكل

جوابا واحدا قاتلين — هذا؟ وما نفعه؟
 قلت — كيف وما نفعهليس من الرجال؟ او لم يكن
 تاجرا كبيرا وصرافا يزدحم الناس في محله والسعيد
 السعيد من كان ينال منهم حظوة في عينيه؟
 فسمعت من الكل جوابا واحدا قاتلين — اي نعم كان
 من زمان ولكنه اليوم لا يسوى شيئا فقد خسر ماله وليس
 من يهمه امره

كنت كثيرا ما اسمع في احاديث الناس ترديد المثل
 الاميركي «المال يتكلم» ولم اكن احله المحل الذي
 يضعه فيه بنو قومنا حتى ذلك الاجتماع اذ ذاك تاكد لي ان
 العرق عندهم ليس باصغريه قلبه ولسانه ولا باكبريه روحه
 ودماغه بل بشيء واحد — ماله



حی دہن

حي دفين

منذ ابتدات المهاجرة السورية الى اميركا صارت طريقها
تيارا يجرف العشرات من السوريين والمئات والالوف
وقد كانت في السنين الاولى مقتصرة على المرتزقين
الذين تضيق في وجوههم بلادهم فيطلبون لاقسمهم توسيعا
في العالم الجديد الا ان التيار صار يتناول من سوريا غير
هوءلاء بالاعداد الكبيرة ويصبهم في العالم الجديد.

لم يكدر حبيب الزيتوني ينهي دروسه العالية في كلية
بيروت حتى يذكر بخمر الهجرة لانه راي بعين علومه ان
بلاده فقيرة لا مطعم فيها ولا مطعم اما في اميركا الفنية
فميدان اوسع امامه يستطيع فيه ان يصعد الى ذروة الطموح
الذي في نفسه.

وبالرغم من بكاء ايه وعويل امه كلما ذكر امامهما انه
ذاهب الى العالم الجديد ما كان ليعدل عن فكرته وكم
كان ابوه يستعد لالهائه عن الامر فتارة كان يطعمه بالزواج
واخرى بتحويل كل ما عنده من رزق وغيره الى اسمه ولكن
حبسيا لم يكن ليحيد قيد شرة عما عول عليه وذهبت تسلات
امه ادراج الرياح.

وهكذا ام حبيب اميركا حاملة شهادته المدرسية ومبلاغا

من المال ولما دخل الى نيويورك دهش له العارفون لانه كان لا بسا احسن منهم وزائدا عليهم بوردة من «الجمال الاميركي» تزين صدره و كان كا انه قضى سنوات عديدة في اميركا يستطيع الذهاب من شارع الى اخر بفضل اللغة الانكليزية التي كان يتكلماها بزلقة لسان كالعربية ولم يكدر يقطع بضعة ايام بين معارفه حتى جعلهم يخجلون من انفسهم لانهم بالرغم من كونهم عتقا في اميركا لم يقدروا على افادته شيئا من سوءاته فانه لما طرح عليهم سؤاله اين هو الهيدروم لم يسمع جوابا من احد الا ظهور علائم الذهول على وجوههم ظانين ان هذه الكلمة تعني اسم حيوان عجيب في جنينة الوحوش «كما يدعونا» ولما سالمهم ايضا اذا كان احدهم يعرف اين المتحف العمومي سمع احدهم يقول انه لا يعرف غير «كاسل غاردن» متحفا يجتمع فيه الناس من كل الاجناس .

بناء على هذا كله لم تطل اقامة حبيب الزبيوني بين اخوانه السوريين وكان انهم هم اصيحوا تعبيين من تفلسفه امامهم وخائفين من مستقبله في هذه البلاد لانه ما كادت قدماء نطاء ارض اميركا حتى صار يسأل عن الملاهي والفرج بدلا من تقديره على شغل او صنعة تطعمه لقمهه وتعود عليه بتوفير كم ريال للاماكن المقدسة ولهذا ترك حبيب السوريين وطفق

يدرس الحياة الامير كية لان جيده لم تزل دافئة بالليرات
 التي تناولها من ايده ولم يجئ ختام نصف السنة الاولى
 حتى «نظف» صاحبنا وعاد الى اخوانه السوريين يسالمهم
 كيف يجب ان يستغل فجادوا عليه بالنصائح مظہرين له ان
 امير كا تحتاج الى سواعد مفتولة لا علوم ولا اكابرية وبالرغم
 من عدم موافقته لهم على ارائهم اضطر الى القبول لانه شعر
 بقرب الحاجة المالية.

واول خطوة منه نحو العمل كانت انه اصطحب احد
 الشبان من قريته وكان يماعا يحمل الجزدان ويدور على
 الابواب يبيع بضايعته وشغله على قدر الاحوال كان مصطلحا
 ولسوء حظه ان صديقه البياع لم «يسنس» في ذلك اليوم
 خلافا لعادته فتشاءم الرفيق منه وحسب ان فشله في ذلك
 اليوم مسبب عن ذهابه معه وبالاخص لهندامه الحسن والوردة
 التي تشكل بها . هذا من جهة البياع اما من جهة حبيب فهو
 ايضا مقت الصنعة واحتقرها وقال في نفسه لو كانت ثروات
 العالم كلها معلقة بهذه المهنـة فليست ليرضى عنها ولهذا
 اخبر صديقه بعد الشكر انه لا يستطيع مشاركه فالح عليه
 صديقه ان يبقى معه وانه ما همه عدم النجاح في ذلك النهار
 لان المستقبل لا بد يفتحها امامهما فما كان ليقبل معه
 حبيب .

الح عليه صديقه هذا الالاحاج لما راه راغبا عنه ولكن في
الحقيقة ازاح حبيب بتركه اياه هما ثقيلا عن صدره الا انه
اراد مجامعته فالح عليه اولا ثم قال له اذا كنت تريد هكذا
فلك خاطرك.

واضطر حبيب الى مغادرة نيويورك لمدينة في الداخلية
حيث يقيم رجل صديق والله وكان بلغه قドوم حبيب الى
نيويورك فكتاب اليه يستقدمه للعمل في محله وكتب اليه
ثانية وثالثة ولكن حبيبا انف الاجابة بادىء ذي بدء ولكنه
لما شعر بال الحاجة كتب اليه معتذرا عن تاخره وانه ذاذهب
اليه في اخر الاسبوع.

تعرفت على هذا الشاب في تلك المدينة اذ كنت ممثلا
لأحد مصانع الكيمونا وكان التاجر في تلك المدينة احد
زبائني فلما شاهدته في المحل انت اتيه فدعوه لمناولة
العشاء معه في النزل وقضيت معه كل المساء وفيه افرغ
لي جعبته بالشكایة من هذا الزمان واهله وبالاخص من
التاجر الذي يشتغل له كل شيء فهو في محله ماسك دفاتر
ومدیر ومشتري وبائع ومکنس و«معبي اركيلة» وناقل
الخضرة الى المنزل الى ما هنالك وقد احزنني جدا قوله
انه في اخر الشهر اذ يتناول معاشه سيرتك البلد الى كندا
فلعل فيها نجاحا اكثرا من الولايات المتحدة وقد سخربني ان

اهله في الوطن ليسوا بحاجة الى شقائه في اميركا ولكنه
هاجر اليها بالرغم من الحالات ابويه وبكائهم ولهذا لا
تطاوعه نفسه ان يعود اليها بغير ما امله من النجاح ولكن
ذلك لا يأتي الا مع الايام .

وعرفت بعد مدة ان صاحبنا غنى موالي كما يقولون فام
كذا وھنالك زادت بلواه لأن البلاد باردة جدا وهو ذو
نحافة بدنه ولم ير ما يشبع نفسه من المطامح ولا ما يريه
اللقة الاولى من تلك المطامح .

وقد اخبرني سوري كندي صادفته في نيويورك انه
يعرف حبيبا بحالة يرثى لها وان اخر ما عرفه عنه ان انسانا
حر كه عوامل الشفقة عليه فنقده بضعة ريالات ليعود الى
مدينة ذلك التاجر في احدى مدن الداخلية .

وقلت في نفسي سبحان الله كيف ان الدهر يضغط على
النفس البشرية فتكسر ارادتها وتقوم ارادته !

ومضى على هذا خمس سنوات لم اعد اسمع عنه شيئا
خلالها حتى طرحتي النوى مطارحها فرمتي في بلد التاجر
المذكور انقا وهناك دخلت محله فشاهدت حبيبا وعلى
وجهه كتب السقم سفرا طويلا الا انه حسن الهندام جميل
الملبس فسلمت عليه وبدلا من ان ادعوه لمناولة العشاء معني
سبقني والج علي بالذهاب معه الى مطعم في المدينة فقبلت

معه وفي الميعاد المعين اجتمعت به فسالته عن حاله وماذا
يعلم ورجوت منه الافاضة عن تاريخ حياته ففتح فاه بالكلام
وأول ما قال لي كانت هذه العبارة بعد تنهى عميق: اذا حي
دفين!

— عجباً تشكوا واراك احسن حالاً مما مضى العلّك تشكوا
الما؟

— كلا لا اشكوا شيئاً لا الالم ولا العسر ولا شيئاً من ذلك
وان ما اشكوه فقداني ثميناً كان معي يوم عرفتني في اول
الامر.

— اعذرني اذا كلمتك بعدم تكليف فقد رأيت منك يوم
عرفتك انك خلو من كل ثمين فالحاجة كانت سلطانة عليك
— كنت محتاجاً ولكن نفسي كانت حية اما اليوم فانا
غني وقد حصلت على غنائي كما ترى على ضريح نفسي
فانا حي دفين.

— لقد اعدت علي هذه العبارة «حي دفين» فماذا تعني بها؟
— اعلم اني جئت الى اميركا بشهادتي العلمية فلم تساعدني
على دهري فلما صرفت كل ما كان معي من مال ابي
اضطررت الى الاشتغال للناس غصباً عن نفسي انتي كانت
تابى وقد حاولت قبلها ان اعمل كما يعمل ابناء بلادي
الذين يشغلون اما بالبيع واما بالاجرة فلم اجد من نفسي

قدرة على العمل ولما كان الفكر يحدثني أن ارجع إلى
 بيت أبي كانت النفس تنازعه حياء من والدي اللذين
 تركتهما ولم يرها مني ما يتحقق أمالهما بعد ما أنهيت علومي
 بالرغم من العاحدهما علي بالبقاء تحت عنایتهما توهما مني
 بان امير كا مطمح امثالى فخابت امالى ولما غالبتنفس
 غلبتني فلنت الى عزتها وانا اضمر لها انتقاما هائلا وهكذا
 عدت الى هذه المدينة الى محل القديم ولكي اتخلص
 من التحكم والفقير سايرت صاحب المحل فتزوجت من
 ابنته وقتلت نفسي فانا اليوم كما تراني رب محل كبير
 ورب بيت ذي اثاث فخيم ولا يزوجة صالحة ولكني لم
 انظر اليها نظرة حب في حياتي . تراني اليوم اتمنى ان اعود
 الى حالي القديمة يوم كانت نفسي لا تزال في قيد الحياة
 مسكين حبيب الزيتونى انه في الحقيقة حي دفين !



زرواننا لا قبدهم

زوانا لا قمحهم

لا يكاد الشاب تطاً قدماه ارض اميركا ويدا بالعمل
 في ميدانها الواسع ولا يكاد يسم له النجاح حتى يسير
 مع تيار النسيان لما كان عليه مفترا بحاضره
 يدخل الشاب السوري ميدان اميركا خائفا مذعورا امام
 عظمة هذه البلاد وكثره حر كتها ثم يتدرج فيها حتى اذا
 تم له الانخلاق بين مجموع العناصر تصور انه اصبح بعيدا
 عن حاليه القديمه

يقول المثل العربي - من تعلم الالف وانبا، بلغ اتفه
 السماء - وهو مثل ينطبق تمام الانطباق على كثير من
 الشبان السوريين يتعلمون الالف من مدينة اميركا فيتوهمون
 انهم صاروا من اساطينها وانهم في ما حصلوه منها لا يشق
 لهم غبار ولو ان الدعوى تقتصر منهم على هذا الوهم لما
 اضرت كثيرا ولكنها تحملهم الى انكار اصلهم احيانا لتوهمهم
 انه معيب عند القوم الاجانب

هذه كانت حالة الشاب رفيق المدور بعدما دخل
 عراك اميركا التجاري وصار قادر على كسب معيشته
 فيها. كان في بلاده يلبس العباء والمدارس واذا اشترى
 الى المدينة لبس الطربوش ولكنه في اميركا كان يخيط

ثيابه عند احسن الخياطين وكان لا يخلو صندوقه من اربعة طفوم في كل سنة كل واحد بلون وزي وكان يلبس لكل يوم قبة وربطة وجراباته تماثل الوانها الوان الربطة والقميص في بلاده كان اصحابه لا يعرفون القراءة والكتابة ولم يجسر في كل حياته هناك على الانفراد بنت من البنات ولكنه في امير كا صار اصحابه في العمل من اجمل الشبان هندا ما واحسنهم تهذيبا وكان محبوبا من عدد من البنات الحسناوات اللواتي كن يتحاسدن على معاشرته الا ان هذا السلوك لم يكن ليسمح لرفيق ان يتقدم في ماليته لان الاصحاب والصداقات والتزه والتفرج وما يدعونه «سبورتس» كان ماحقا لكل ريال يفضل من معاشه بعد نفقاته الخاصة

وكان ابوه يكثر من الرسائل اليه طالبا من الله ان يسعده ليسعد اهله المحتاجين ويستقر قلبه تحتنا على عائلة ايه الكثيرة الافراد ويدركه ان جارهم الذي رهن البيت عنده لقاء خمسين ليرة قيمة «الناولون» له يشد على ايه الخناق كلما راه وهو يخشى ان يعبره الجار في المحاكم على تحويل البيت لاسمها اذا كان لا يدفع المبلغ مع الفائدة

كل هذا بالايات لم يعد بمoeثر على ضمير رفيق اي تأثير

كان فكانت اجوته الى ايده مقتصرة على المواعيد التي
فرص احسن لا بد ان تصدقه حتى عيل صبر الوالد فاضطر
الى بيع الدار والقلوم الى اميركا مع العائلة لانه عرف
ان ابنته تامر كونسي اصله وعاف اهله ولم يعد يبالي بحالة
ذويه ماتوا او عاشوا سواء عنده

ولما عرف رفيق عزم ايده على القلوم مع عائلته كانت
رسائله الواحدة تلو الاخرى يوقفه عن هذا الامر مدعيا ان
احوال اميركا ليست جيدة وقلومه اليها يجلب لهم وله
التعasse الا ان الحالة التي كان يعاينها الاب لم تعد محمولة
عنه ولهذا بالرغم من تخويفات ابنته باع الدار فوق ما عليه
لجاره منها وام اميركا متكلما على الله لعله يستطيع ان يعوض
ما خسره بجريرة ابنته البكر رفيق المذكور

ولما رأى رفيق عناد ايده هلع قلبه وصار حزينا لا يطيق
عزاء كافها انقضت عليه صاعقة غير حاسب لها حسابا ولكنه
اضطر ان يستر الحال ويصبر على بلوه وكان لا بد ان
ينقطع مدة عن عشراته وان يتبع الى امد عن طرق
معاشاته ضنا بعض المال اللازم له في اول عهد قلوم
اهله لما يلزمهم من نفقات بتأسيس ييت والبسة الى ما
هنا لك

وغني عن الشرح ان صبر رفيق فرغ من اول اسبوع

لوصول اهله فقد انفجر صدره عليهم انفجارات هائلة
 واسمعهم غليظ الكلام وشكا دهره لكونه اينا لهم وهم
 بحالتهم كالفالاحين ولم يستح ان يقول امامهم انه يخجل
 امام الغرباء عندما يعرفون انهم اهل
 وازداد سلوك رفيق هذا سوءاً عندما اعيى باقناع والده
 بان يلبس قبة مكوية وربطة والدته بلبس البرنيطة والفرو
 فان والده صرخ له انه جاء الى اميركا لا ليلبس مثل
 الامير كان بل ليشتعل ويعوض عن خسارته ويقوم باود
 صغاره وامه قالت له انها قارت سن الشيخوخة وان صباها
 قد ولت فهي لا تزيد ان تشبه السيدات ببياتها وعليها
 واجبات نحويتها الجديدة والواجب نحو بنيتها وزوجها ان
 تقتضي

وكان رفيق اذا صدف احداً من اهله في الشارع يحاول
 اما الرجوع بطريقه او الانتقال الى جانب اخر لثلا يمر
 احد معارفه فيعرف انه احد هؤلاء الناس . وكان لا يتكلم
 مع احد منهم الا تحت سقف المنزل
 اما الاب فعرف بداخله ان لا امل بابنه رفيق ولها شعر
 عن ساعده العجد فلخل ميدان العمل مجتهداً وكذلك امه
 واخوته الصغار فالكل كانوا يعملون لكي ينهضوا من عثرتهم
 لا يهمهم من شعرون البلاد التي حلوا فيها الا العمل ولما

يُشَرِّفُنَا رَفِيقٌ مِنْ أَهْلِ الْخَارِجِيِّ وَضَاقَ ذَرْعُهُ بِهِمْ وَدَعْهُمْ
إِلَى أَحَدِي مَدِينَاتِ الدِّاخْلِيَّةِ

سبعين سنة مرت ورفيق بعيد عن أهله أما أهله فكانوا قد تناسوه للهوى بالعمل عن الافتخار به بعدما رأوا منه نفوراً عنهم وسلوكه معهم ذلك السلوك السيء واستحياء بهم وهم أهله ولهم عليه فضل ودين

في هذه السنوات السبع كان ابو رفيق قد حصل على ثروة فاشترى بيته لصغاره وكان يامل ان يشتري بيته ثانيا في مطلع السنة الثامنة وان يفتح محلا لبيع البضائع بالجملة على ابناء بلاده حملة العزاديون وصغاره يتلذذون في المدارس العمومية وهو حاضر كل همه واجتهاده بجعلهم رجال المستقبل بعيدين عن كل ما اتصف به اخوهما الاكبر اما رفيق فقد عاش لنفسه بعيدا عن اب هياته غير لائقه بمن كان ولده مثل حضرته وام تلبس ارخص مما يلبسه الغجر واخوه يسيعون العرائض على قوافع الطرق كاولاد الشحاذين

وقد شكر الله انه بعيد عن اهله والا فان حبيته «مالى»
لا مراء تتبعده عنه الوف الاميال اذا عرفت من اي الاهل هو
«مالى» لحبها رفيق وندرج به حبها الى الميام وقد تعرف
بها بالصدقة فعاكها وحاكته وشاعدها مرة اخرى في

الشارع فرفع لها قبعته وهي حيته ثم اجتمع بها فهز يده بيدها
واخذ منها عنوانها ثم دعاها الى مناولة غداء معه فصار
يكتب اليها رسائل غرام حتى صارت له حبيبة يهدى اليها
الهدايا ويدعوها مرة في الأسبوع الى التفرج على الصور
المتحركة او الملاعب التمثيلية

كل هذا ورفيق يلح على حبيته ان تتزوج به وهي تابى
قائلة انها لا ترضى الا بما يرضى اباها وان اباها اذا عرف
انها تحب اجنبيا يقتلها لا محالة وقد سالها مرة ان تسمح
له بالذهاب الى بيتها ليسأل يدها من ايها فمنعته واخافتها
بانه قد ينقض ابوها عليه وعلىها وتكون العاقبة سيئة . ولما
دعاها الى الهرب معه زجرته وكانت تنقض عليه لولا انه
راضها وسحب كلامه معتبرا اذ ذاك صرحت له مالي
انها وان تكون تجده فوالدها كل شيء عندها ورضاه غايتها
ومهما يكن الامر فخاطره الاول والآخر وان الفتاة التي
تهرب مع الشاب ليست بنت اصل فان الشرفاء لا يأتون
بمثل هذا

وظن رفيق ان حبيته من كبار القوم ولها لا تحب
ان تعمل الا بارادة اهلها وتذكر حالة اهلها مقابلا اباها
بحالة اهلها كما يتصورهم فعظم عليه الامر وحاله واكده جيدا
انه اذا عرفت مالي اهله لا بد ان تبتعد عنه وتندم على جه

وازداد هيامه بها حتى لم يعد قادر على احتماله وغالب
 فكره بالذهب سرا الى والدها لعله يستطيع اقناعه فيرضى
 عن زواجه بعالي وينتهي الامر . واخيرا قال «لنضرب هذه
 الطينة بالحائط» وحملته قدماه في ذات ليلة الى منزل حبيته
 لأول مرة وكان في طريقه خافق القلب ظانا انه ذاذهب
 الى سراي احد الامراء او الملوك الا انه شد ما كان عجبه
 عندما مشى طويلا وقضى نحو ساعة يسأل المارين والبوليس
 عن الشارع الذي يسكن فيه ذوو مالي ولما اهتدى ووصل
 الى الرقم الذي يطلبه رأى هناك يتنا كذب ظنونه فاعاد
 قراءة الرقم مرارا ظانا انه غلطان ولما فرر الامر دخل
 وقد بدا يشمىز فلق الباب فخرجت اليه امرأة عجوز ببراءة
 مخيفة تتوكا على عصاها فسالها عن المستر فرتس والد
 مالي فقالت له انه لم يعد بعد من عمله ولا يعود الا بعد
 منتصف الليل ولكنها ادخلته لتعلم من هو وماذا يريد
 فلدخل الى غرفة ليس فيها الا سحارة عند الباب وفي
 مدخلها طاولة خشبية لها اربع قوائم عليها صحنون وسخنة
 وباحدي القراني وجاق للطبخ وفي داخلها سرير عليه فراش
 مغطى بالوسخ .

— من حضرتك يا مستر

— انا رفيق مدور وقد جئت لارى المستر فرتس بأمر

— المستر فرتس لا تقدر ان تراه هذا المساء فاذا شئت
ان تقول لي حاجتك فلا باس فانا ممسن فرتس

— انت ممسن فرتس والله مالي؟

— نعم او انت الشاب الذي يريد ابنتنا؟

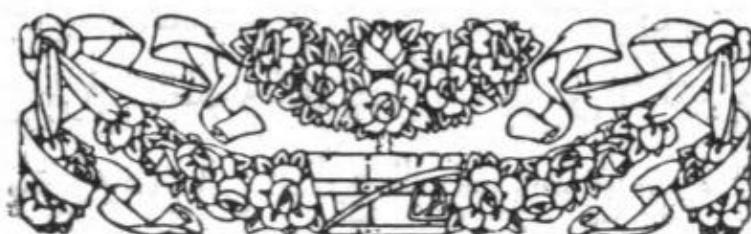
— ما جئت لاتكلم بهذا ولكنني احيثت ان اتعرف عليكم
وما انهى رفيق هذه العبارة حتى دخلت مالي ولما وقع
بصرها على بصره رقص قلبها وكاد يشب من مكانه ولكنها
هداته بالقوة التي يستجمعها المحثار في ساعة مثل الساعة
التي وجدت فيها ولكن وجهها تلبس بالاصغرار وشفتيها
تفطتا بالبياض وعينيها تضررتا بالدم اما هو فوق لها
ولم تكن حالته باحسن من حالتها الا انه ود ان يختتم مهمته
بالي هي احسن فقال لها انه اضطر ان يزور منزل اهلها
لانه ذاهب الى نيويورك في تلك الليلة اذ بلغه ان اباه حرمه
من الميراث وتخلى عنه ولهذا جاء ليودعها الى ان يعود.
وخرج رفيق من ذلك المنزل ويده على انفه واخرى
تشغل طرفه بنطلونه لثلا يصل اليه الوجل الكبير وهو يقمن
قمرا حتى وصل الى الشارع العريض فتابع سيره الى حيث
تنفس الصعداء

وحقيقة الحال انه صدق بذهابه الى نيويورك في تلك
الليلة وهذا كل ما صدق به من كلامه الى التي كانت

حيسته قبل تلك الساعة وقد تذكر قصة الابن الشاطر التي اوردها المسيح في الانجيل فوطن النية على ان يعود الى حضن ايه وامه

ولما عاد رفيق الى ييت اهله احتفل به ذووه ولما مالته امه رايها بالزواج واذا كان يوئثر الاميركية على السورية قال لها —

«يا امي مثلنا يقول: زوان بلادك ولا قمح الغريب. وانا اذا اردت الزواج فيجب ان يكون رايک بالعروس قبل رائي ويجب ان اتاكم اولا انها «تعبي اركيلتك قبلما تجلس بجانبي»



ذو اللحية الطويلة

ذو اللحية الطويلة

امير كا اوقيانوس عظيم قليل هو المعروف منه وما هو
محجول عن عاليه اكثربكثير من الظاهر المعلوم وهكذا
هذه البلاد فان فيها من الاسرار في الحياة ما يعيي الفكر
عن العد والحضر

كثيرا ما يعجب المرء بحياة بعض الناس فيقول في نفسه
عجبا والله كيف يعيش هذا وذاك وذلك وهم لم يأتوا
عملا في حياتهم

ومع ان تمييزها بلاد العادة والمادة لا تأتي الا بالعمل
— العمل الحقيقي في ميدان واسع يتسابق فيه الخلائق
تعدوا عدوا فان تعب احدهم سقط على الطريق فداسه
ال القوم في مسيرهم وراح كانه ما كان وبالرغم من ان امريكا
بلاد العج و الكدح لا تخلو من قوم عائشين كغيرهم لم
تعمل ايديهم عملا ولم تعرق جماهم يوما ولم تتحرك
اقدامهم في ذلك الميدان العملي ولا خطوة
هوءلاء عائشون بين الخلائق المترادفة المتسابقة في
الزحام وراء تنازع البقاء وجودهم بينها هو من العجب
بمكان.

كنت اتعجب مع المتعجبين في كيف يعيش مخائيل

فلفل ذلك الشاب الذي يلبس افخر اللباس ويتناول طعامه في اجمل النزل والمطاعم ويصرف المال كأنه مرتکن على «بنك او تومان» او كانه ابن روکفلر او مورغن او استور. ومن اين ياتيه المعاش لا احد يعلم! وكيف يتمكن من البذخ والتبذير وهو «شام هواء قطاو ورد» في كل ايام حياته لا احد يعلم! مع ان الكثيرين يستغلون الليل والنهار يعملون في اليقظة ويهسون في الاحلام بالنجاح ولا يحصلون على اود حياتهم الا بالغصب

مخايل فلفل اعجوبة ويوجد كثيرون امثاله لا احد يعلم كيف استطاعوا ان يعيشوا كساى في وسط لا تاتي اللقمة للمرء فيه الا بالجد مغمومة بدم القلب وعرق الجبين لما دخل مخايل فلفل ارض اميركا لم يكن ذا ثروة ليعيش ترفا دون عمل بل كان كغيره من المهاجرين الذين يصلون اميركا ومعهم زاد يوم واحد ولكنه كان ذا ثروة طبيعية وهي القوة على الاستباط والابداع بالحيل عرف منذ حل ارض اميركا ان الشاب مثله لا يستطيع ان يفتح تجارة تدر عليه الارباح الكثيرة لانه خلو من راس مال اما اذا شاء ان يصعد الى مصاف التجار عن طريق الاشتغال بالاجرة او البيع او ما شاكل فاما مه سنون عديدة متعبة بالاقتصاد والثبات ولهذا ابتعد عن الاشغال التي

يتغاطاها اخوانه السوريون ففي كل صيف كان يلزم معرضها من المعارض يستاجر فيه خيمة على مدخلها قائمة كبيرة مكتوب فيها هذه العبارة

«منجم شرقي يخبرك عن ماضيك وحاضرك ومستقبلك» وفي داخليها كان حضرته يجلس وعلى راسه عمامه مقرضا تحت العباءة البدوية يدخن النارجيله والى جانبه شاب اميركي لا يعرف كلمة من العربية ينقل الى الزبائن كلمات «علي بابا» المنجم الى الانكليزية وعلى بابا او مخائيل فلفل يعرف من الانكليزية بقدر ما يعرف ذلك الشاب الامريكي من العربية ولكنها ماهران بالترجمة بما يرضي الزبون ويعجبه ويدشهه وما يفيد جيوبهما بالدولارات التي تاتيهما عفوا دون تعب ولا عناء

مرة وانا في شارع برودواي شعرت بيدنلت على كتفي فاقفتني والفتني لاري من الموقف فاذا انا امام رجل ذي لحية كبيرة متسلل بالفرو الغنامي وعلى راسه برنيطة حريرية عالية وقد وقعت عيني على عينه فابتسم لنظرتي وذهلت لزوئته واعملت فكري نحو دقيقتين لا عرف هويته حتى جاءتني الذاكرة بمن هو فصحت به -
- ومتن التحيت يا مایک؟

— عرفتني والله ولكنك لم تعرف اسمي الجديد احزر!

— اسمك الجديد؟ او لك اسم جديد؟

— او لم تسمع في طول البلاد وعرضها باسم علي بابا؟

انا هو

— انت هو المنجم المشهور؟

— انا هو

— الله لقد كشفت لي عما بقيت ابحث عنه سنوات وهو

كيف تعيش وماذا تعلم

واخذني صاحبي بالكار الى كوني ايلند فادخلني الى

مرضده وعرفني على ترجمانه واجلسني وقال — اقعد هنا

. وانظر كيف يعيش صاحبك وبأي مقام بين علية القوم

وكيف تاتيه زرافات الولايات صاغرة

فجلست عنده والدهشة تستولي علي وانا ارافق كل

حركة من حركاته وفيما انا على هذه الحال اذ تكلم

الترجمان من داخل الستار قائلاً — علي بابا . علي بابا!

فغضض لي على شفتيه مشيرا الى ان احمد بمكاني اما

هو فوضع العمامة على راسه وتسربل بالعباءة مقرضا ثم

تناول النريج واخذ يشرق دخان النارجيلة

وكائن صوت النارجيلة علامه للترجمان ان يدخل

الزبون فقد تم الاستعداد لقبوله امام عظمة المسرح اسرار

الناس والقابض على ازمة مجاهيل الطبيعة
 دخلت سيدة الى حضرة علي بابا ودليلها الترجمان
 الذي قال لها ان تركع امام سماحة المنجم الاعظم . وركعت
 السيدة والى جانبها الترجمان ولما استعد علي بابا للعمل
 انقطع لحظة عن التدخين وانا اطلع اليه بشوق زائد ادرس
 كل حركة من حركات وجهه ويديه ورجليه متربصاً تحرك
 شفتيه بالاسرار عن ماضي تلك السيدة المشتاقة لمعرفة
 مستقبلها وما عساه يجري عليها متأكدة ذلك بما تسمعه من
 اسرار ماضيها

وهم الترجمان لالتقاط الاسرار من فم كاشفها علي
 بابا الذي فتح فاه بالكلام باللغة العربية قائلاً -
 «قل لهذه العاهرة ان البودرة على خديها كادت تذوب
 تحت عرقها المتسبب من جبينها»
 وما كادت هذه الكلمات تخرج من فمه والترجمان
 يستعد لنقلها الى السيدة باللغة الانكليزية بل لا لينقلها استغفر
 الله فكلامه لا ينقل بل ليحوك من مهارته عبارات ملوءها
 العigel والخلط حتى رأيت السيدة قد نهضت واقفة على
 اصبعها تكاد تولول وهي تصب الدماء على المنجم
 شعرت في تلك اللحظة ان العاصفةقادمة على الخيمة
 وعلى كل من فيها ولكن شد ما كان عجبي عندما رأيت.

صاحبنا المنجم رابط العجاش كأنه ما قال شيئاً يريد الحق
 الجرم بالسيدة لأن الحق عليها
 وسمعته يكلمها بلقتها العربية قائلاً - الا ترين اني
 عرفتك سوريه ولهذا اسمعتك ما لا ترغبيه من الكلام جواباً
 على ازدرائك بنا نحن المتعيشين على الامير كان
 وخرجت تلك السيدة من الخيمة وصاحب المنجم وترجمانه
 يضحكان وقد قال لي ان تلك كانت المرة الاولى التي
 حدثت له مع سوريا وان القدر ساقني لأشاهد تلك الماساة
 يعني

وخرج الترجمان الى خارج الستار ليرمي شباكه على
 السوق فيصطاد بالبوق بعض المارين الذين تهزهم الاوهام
 ويوقعهم الاعتقاد بالخرافات في شباك الصيادين المتعيشين
 وما كدت اهدى روعي لاستائف الحديث مع صاحب
 النبي علي بابا حتى سمعت الترجمان يرجف صوته بخشوع
 قائلاً كلمات الدلالة على ان الشبكة قد جاءت بصيلة -
 علي بابا ! علي بابا !

فشرق علي بابا بالنارجيلة شرقه طولية واذ ذاك دخل
 الوسيط بسيطة كملة ذات عينين زرقاوين ووجه بائنخ فاركمها
 الترجمان الوسيط عند قدمي النبي علي بابا الذي انقطع
 عن التدخين هنية اذ اعاد الترجمان كلامه قائلاً -

علي بابا ! علي بابا !

وكانى بهذا الوسيط لا يعرف غير هاتين الكلمتين من العربية يلقطهما بلهجة غريبة هكذا : الي بابا الي بابا . وهو يستعملهما بسوءاته عن كل امر يريد طرحه على النبي الذي يتمتم كلمات بلغته العربية جوابا لاستعلامات وسيطه فيوElf ذاك على ذوقه باللغة الانجليزية ما يناسب الحال . وسمعت علي بابا هذه المرة يقول وقد استفاد مما سبق حلوثه

قل يا رب يسر ولا تعسر يا رزاق يا عليم بالحال !
وكنت مصغيا بكل مسامعي للجواب الذي كان على الوسيط ان يقدمه على سؤال السيدة عن ماضيها فلما اخذ الجواب من نبيه قال لها انها متزوجة شابا احبته ولم يكدر ينبي عبارته حتى رأيت السيدة قد انتصب غاضبة تصيح : كذب . كذب

وللحال انتصب علي بابا وقد عرف ان ترجمانه قال شيئا لم يرض الزبونة فأخذ يصب جامات غضبه على الترجمان وتهدهده تارة بالضرب والرفس وتارة بالبصاق عليه وهو راكع امامه يرتعفا ارتتعفا كانه صب عليه ماء بارد ولما انتهى تمثيل هذا الدور ورات السيدة ان الغلط لم يكن من النبي ذي العصمة بل من وسيطه الذي بعد ما صبر على

ما ناله من سيده اخذ يتضرع الى السيدة وينتظرها فائلاً:
انه غلط بنقله من فم النبي فانها غير متزوجة البتة وان سيده
قد طرده لارتكابه هذا الجرم

فرق قلب تلك السيدة وعادت فركعت بجانب الوسيط
امام علي بابا ترجو منه العفو عن ذلك المسكين وقد كادت
دموعها تنهمل من ماقيها

كل هذا وصاحبنا علي بابا يرغى ويزبد ويتطلع الى
ترجمانه تطلاعاً وحشياً كأنه يريد افتراسه

ولما رأت السيدة انها كانت السبب لكل هذا الجاري
مدت يدها الى جيبها فاخراجت من كيسها ثلاثة ورقات
مالية كل واحدة بعشرة ريالات وقد مرتها الى المنجم
مسترحة ايام بقائها ليعنو عن ذلك المسكين

فالتفت الوسيط اليها يقبل اذيالها شاكراً جميلها وشيئها
الى الباب وهو يزيدها احمالاً من الحمد والثناء

وعاد الترجمان الى داخل ولما وقعت عينه على عين
علي بابا انفجر الاثنان بالضحك اما انا فوقفت على قدمي
هاما بالانصراف واذا بصاحبي علي بابا قد وقف ماسكاً بي
وقائلاً - مهلا يا صديق!

- اخاف ان ارى حادثة ثالثة تذهب بصيري ولكنني
اشكر الصدف فقد دلتني على مورد كسبك وقد كنت

اجله واعجب لحياتك

- ارایت مثل متجرنا ارباح بارباح دون راس مال؟
- لا لم ار متجرنا كمتجرك كل راس ماله لحية طويلة



ابن العصر

ابن العصر

هكذا يدعوه الناس الذين حواليه لانه شاب يستغل لا
لطمبح له في حياته ولا ليعيل اهله في الوطن بل ليكسب
قليلا من المال ينفقه على اللباس والزينة والتخطر في
الشوارع كالعروض في حجلتها .

فوءاد بربزق وانشت سمه بما سمى نفسه بين الامير كان فرنك
برلين غريب باطواره واغرب واعجب ما فيه مظهره بين
الناس فانه يصرف اوقاته كلها بالاعتناء بلبسه ولهذا دعاه
السوريون بـ«اب تودايت» اي برجل اخر ساعة لا بعمله ولا
بنفعه بل بلبسه .

والناس كانوا يحسبونه اية من الآيات في الهنداة وهم
يخطئون بهذا الحساب غالبا لأن مراعاة المرأة الهنداة لا
تطلب صرف الوقت الشمين ولا تستنزف دراهمه اما فواد
برزق فشاب كل همه في هذه الحياة ان يشتري ويلبس
وان يحافظ جيدا على طيات سترته وكياط بنطلونه وان
يعدد الربطة امام المرأة ويصرف على هذا العمل نحو ساعة
حتى يعقدها بالضبط الكلي وتجيء كأنها مسكونة سكبا
بقابل .

ومن كان همه كفواه بربزق على نفسه ومظهره الخارجي

ين الناس لا يهمه العمل كثيرا وهو في حقيقة الحال لولا حاجته الى المال للمحافظة على كسمه لما عملت يداه عملا ولهذا كان دائما كثير الثياب قليل المال.

كان يحب ان يظهر بزي اخر ساعة ولكن ما كان يمكن من ذلك لأن حالته لم تسمح له كل وقت بما كان يامله فكان يكثر التردد على محال الالبسة فاذا رأى ربطة جميلة دفع ثمنها غير مبال بغلتها لانه احبها ولهذا ثلاثة ريالات ثمنها ليست بكثيرة على لونها الفستقى العائل لون جراباته وفيما يكون ذاهبا الى بيته يمر بمحل القمصان فتحدهه النفس انه بحاجة الى قميص فيدخل الى المحل ويقترب القمصان العديدة ولما كان يضرب يده على جيده لا يرى فيها غير خمسة وسبعين سنتا فيبقى معه اجرة الكار ويشتري قميصا بالسبعين سنتا الباقية. وعندما تبدأ شريطة برنبيطه بالتزفيت كان ينخر ريالا بعد ريال ليشتري اخرى عشرة ريالات وفي ذلك الحين كان يلاحظ انه أصبح بحاجة الى كندرة فكان يمد يده الى جيده فلا يرى فيها غير ريالين فيضطر ان يشتري كندرة بـ ريالين.

هذا هو «الاب تو ديت» عند السوريين رجل الساعة رجل الدقيقة الحاضرة وكم وكم ينهم من شبان يقتلون وقتهم ويعملون حياتهم بالاعتناء بمثل هذا فلا يفلحون ولا

ينفعون.

وكان فؤاد برق يظهر امام مواطنيه عدم المبالغة بهم وانه يوءثر الاندماج بالقوم الامير كان ولكنه يقول هذا قوله ولا يفعله فان الامير كان لا يحفلون كثيرا بمثله ولكن السوريين يحسبونه شيئا ويغترون بهندامه وهم بلورهم ياسفون لحاله لانه كان ينفق كل ريال على لبسه ولا ينخر ل أيامه السود ما يقيه ضرورة الاحتياج الى السوى. في المرقص تعرف حضرته على فتاة اجنبية فصار خديتها وقد طار في الفضاء الاعلى بمعاشرتها وكثيرا ما كان يأتي الى المطاعم السورية ويدله يدها ليباهي بها بين رفاقه.

وقد قضى ثلاث سنوات مع تلك الفتاة التي اضطرته معاشرته لها الى الاشتغال الكثير والاجتهد ليحصل اكثر مما كان يحصله فقد صار عليه ان يقدم لها الهدايا وان يقوم بما توجبه محبتها لها من الذهاب الى المسارح والقصاوی والملاهي والمطاعم الفخمة حتى تعلق بها وصار يامل ان ترضى به زوجا اما هي فكانت تعلله بالاموال ولهذا اخذ يكدر ويقتصر ما امكنته وينخر بعض المال في بنك الحكومة وما هي الاشهر حتى توفر له في ذلك المصرف نحو ثمانين مئة ريال ولما سال حبيبته ان تكون خطيبته الرسمية طلبت

الى ان يشتري لها خاتما ثمينا ولم تكن تزفر شفتيها بهذا
الكلام حتى طار قلبه فرحا فأخذها في الحال الى محل
المجوهرات وابتاع لها خاتما بثمانيني مئة ريال وهو مبلغ كل
ما كان معه في البنك.

وقد فرحت حبيبة فواد فرحا لا مزيد عليه ولما وصلت
معه الى بيتها واردت ان يودعها او قفتها وسألت امها بدلال
اماها ان تاذن لها بان تقبله فاذنت لها وقبلته قبلة واحدة
وسار في طريقه يمشي على الارض مرحأ وعقله يلاعب
ملائكة الاعالي وقد حلم في نومه مرات ورای حبيبته قبله
وتضمه الى صدرها فكان ينهض كل مرة من فراشه باسمها
ثم يعود الى نومه لثلا يضيع وقتا من المنام الطيب انسياحات
مع تلك التي فتنت لبها وسلبت عقله. ولم يصبح الصباح
حتى نهض من نومه وكله فرح وغبطة وكانت ساعات ذلك
النهار اطول من اعوام في دائرة عمله فانه كان يعمل في
محل شغله كالماخوذ ولا مراء فانه كان في ذلك النهار
يشغل متكتلا وعقله سابح في الفضاء ويناجي حبيبته ويخاطبها
فلما يصحو بمنداء احد زملائه كان يستأنف عمله وانما بكلفة
وعنااء.

ولما جاء ختام ذلك النهار ذهب ليتناول عشاءه ثم فسد
الحلاق فتزين كما يجب وما دقت الساعة الثامنة حتى كان

عند باب المنزل الذي تقطن فيه حبيته مع امها .
 دق الجرس ودقة ودقة ولا مجيب على خلاف العادة
 مع انه على ميعاد مع حبيته لقضاء السهرة في منزلها . وما
 كان يستطيع ان يحوك في عقله عندها لعدم انتظار حبيته له
 الا اذا كان هنالك من سبب كبير ومع ذلك لم يكن
 يستطيع ان يتوصل بعقله لسبب كبير يمنعها من البقاء في
 منزلها لاستقباله حسب الموعد ولا سيما انه تركها في الليلة
 السالفة طائرة فرحا بخاتمه الماسي وقد قبله لأول مرة بعد
 حب ثلاثة سنوات وباذن امها .

تردد اكثر من نصف ساعة امام الباب في هل يعود من
 حيث اتى ولكن كيف يمكنه ان ينام تلك الليلة ولم ينزل
 وطره بمشاهدة حبيته . واعاد الكرة على الجرس فكان
 يدقه دقات طويلة وبعد وقت طويل خرج اليه احد العجران
 في الطابق المحاذي لمنزل حبيته فسأله من يريد ولماذا
 يكشر قرع الجرس ؟ ولما اخبره انه يريد زيارة آل حبيته
 اجا به العjar بانهم نقلوا يتهem منذ الصباح وانه ساعد ام
 الفتاة يده في قضا بعض الحاجات لأن عربة النقل جاءت
 في حين ان اهل البيت لم يكملوا استعدادهم ولما اراد
 السائق ان يعود معتذرًا بأنه لا يستطيع الانتظار واضاعة
 الوقت كانت السيدة تقبض على ساعده وترجو منه بتملّق

كثير ان يصبر ولهذا مع انه جار لها غريب لم يكلمها في
حياته ولا راي لها وجها قبل اليوم فقد طلبت اليه ان يمه
يده اليها بمساعدة فساعدها.

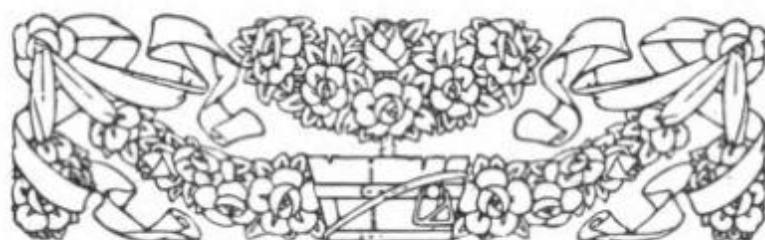
ذهل فواد ذهولا لا مزيد عليه من هذا الامر ولما سال
المخبر اذا كان يعلم الى اين نقلت تلك العائلة اجابه نفيا
ولما اكرر عليه الاسئلة منها اذا كان يعرف السائق او محل
عربات النقل واذا كان يعرف احدا يعرف عنهم شيئا اجابه
بلا وسکر الباب وعاد الى بيته.

بقي فواد تلك الليلة كلها يسأل البوليس وكل من كان
يراه في طريقه فلم يستهد الى احد يده على منزل حبيبته
الجديد.

وقد ظل طيلة اسابيع يحاول ان يعرف هذا الامر فلم
ينجح حتى قطع امله من النجاح وقرر في عقله ان الخاتم
كان اصل هذه العلة.

بعد هذه الحادثة صار فواد لا يذهب بالبنات الاجنبيات
وعندما كان يجلس في محضر كان يصب من فيه حمما
على خيانة بنات الجنس الغريب فكان يدعم قوله بالبراهين
الواقعية بأنهن يصاحبون الشاب من اجل ماله وانهن لا يعرفن
معنى للحب. ولما تناظر مع سامع مهذب رد عليه بان
امير كا مخلط للامم العديدة وان السوري لا يتعرف بالقوم

الكبار الا نادرا فاذا عاشر بنتا فانه يكون قد علق بها في
 مرقص ام في مكان بالصدفة اقتنع بكلامه وزاد عنى
 قوله بانه هو نفسه وقع بمثل هذا وان قبلة بعد ثلاث سنوات
 كلفته اخر الدفعات ثمانيني مئة ريال .



خنفشار في أميركا

خنفسار في اميركا

البواخر التي تقطع الاطلantيك انايس تصب الخلائق
من العالم القديم المكظ بالبشر الى العالم الجديد المفتوح
لاجيال ليتنفس فيه الانام بملء رئاتهم في فضاء واسع
يكتنف الملائين من القادمين.

هذه الانايس تروح وتجيء شواطئ اميركا وشواطئ
اوروبا ناقلة على متونها الوف العمال والطالبيين العمل في
ميدان الاعمال — اميركا

يصل المهاجر الى اميركا فيصمت صمتة الذهول في
عظمة هذه البلاد ويعقد لسانه شغل فكره وجناه بالتأمل بما
وصلت اليه فكرة الانسان المتمدن في فنه وصناعته وعلمه.
يتأمل مثلا في ناطحات السحاب فيعد طبقاتها واحدة واحدة
فاذا وصل الى رقم الخمسين بعد ان تكون عروق رقبته
تکاد تصلب يهز راسه عجبا ويتبع مسيره متلقتا خطوة
فاخرى ليملاه ناظريه بدهشات البناء .

ياخذه احد معارفه من نيويورك الى بروكلن بقطار النفق
وعندما يصل به الى منتصف الطريق يخبره بان القطار
سائز بما تحت لجات البحر فيشب قلبه وجلا ودهشة وتفرع
افكاره الى فروع لا تلتسم وهو خاشع امام العظمة البشرية

التي خولته الظروف ان يدخل الى قلها.

يقف فيه احد اصدقائه عند مفرق الطرق فيرى امامه الى
مدى بعيد خطوط السيارات تتحرك شمالاً وبينما وغرباً
وشرقاً كانها فيالق لا اول لها ولا اخر والوف العابرين
من هذا الجانب الى ذاك والقاطعين من هذا الى ذاك بكل
نظام واتباه فيخيل له انه في جنة من جنات الله.

كل هذا والمهاجر القريب العهد بوصوله الى امير كا
يبقى مدھوشًا يتکلم فكره وقلبه بعجائب الاختراع واما
لسانه فيبقى جامداً لا يستطيع ان يتحرك. وما عسى المهاجر
الضعيف ان ينطق فمه امام ما يشاهده بام العين من عظمة
العالم الجديد وضخامته؟

ولكن هذه العقلة لا تطول وذلك المهاجر الصامت
بالامس يصاب برد فعل فينقلب الى متکلم كثير الكلام.
لان زمن الذهول قد مر وجاء زمن اصبح فيه المهاجر
يتطلع الى مرامي العظمة كانه رأى امام عينيه التنور عند
مدخل داره في القرية او كانه اذا تطلع الى بناية وولورث
ذات الطباق الثمانية والخمسين يشاهد كوخه في الكرم
الممؤلف من اربع قوائم شجرية بحيطان من قش. واذا
ركب قطار النفق تحت البحر لا ياخذه العجب كالاول
كانما هو راكب حماره تشارك رجاله قوائم ذلك الحمار

بالسحب على وجه الأرض.

اخبرني صديق ان اخاه ظل اسبوعا لا يغير كلاما وقد خاف ان يكون قد اصيب بـمكمة بادىء ذي بدء ولكنه ما انتهى الاسبوع حتى صار ذلك الاخس خطيبا من الطبقة الاولى اذا جلس في حضرة كائن من كان يتناول الحديث من الالف الى الالاف فيخلط عباسا على دبابس واذا نهاد ناه لا يبالي به ولا بنبيه فهو القليع في كل فن وعلم وعمل بعد ان كان يمشي على سطح الصبوبي فيتامل كيف جعلوه من قطع زجاج. وقد صار كل صعب عنده من اهون الامور قوله على ذلك تعاليل هوناسج بردتها وحده لا شريك له من ذلك انه مرة كان جمهور في سهرة موضوعهم جسر بروكلن عندما كانت بلدية نيويورك مهتمة بعد جسر مانهتن اما هو فتناول الموضوع وعيثا كان يغمزه اخوه ان يختصر الحديث وان يعطي فرصة لغيره بالكلام بل تابع تعاليله حتى انتهت السهرة وقد ابان للقوم ان لا حاجة الى العجب في بناء الجسور العظيمة فان امرها بسيط جدا لان الاساس يبني على الفلين اذ توضع صفائحه على وجه الماء وينبى فوقها فترسب رويدا رويدا حتى تصل القعر.

قال محدثي ولا اعلم من اين جاء اخوه بمثل ذلك اتعليق ولكنه بالرغم من انه يجهل حتى القراءة والكتابة يتجرأ

على الخوض في جسام الامور فيهون عنده جسر بروكلن
وما نهبن وغيرهما .

عرفت سعد قمر في احدى مدايا هذه الولايات وهو
كهل عتيق هاجر الى اميركا عن طريق مصر فمال لسانه
الى لغة الفراعنة وظل في اميركا عشرين سنة وهو يتكلم
بلغة محمد عبده واحمد شوقي وحافظ ابراهيم .

وسعد قمر عانس لا يعرف الالف من الباء ولكننه ذو لسان
ذي حركة دائمة لا توقفه الا المنية ولا ادربي اذا كانت
المنية او قفته فقد مات ووضع في قبره وحجبته عنی ظلمات
الابدية ولهذا لا اجزم بالامر .

كان المرحوم اذا رأى حلقة مهما يكن نوعها ومن اي
الناس كان اعضاؤها يجلس الى ناحية قربة فيعطي اذنه
اولا الى حديثهم حتى يتمكن من جذب طرف من حديثهم
الىه فيستلمه ويبدأ ولا يتنهى حتى ينتهي الاجتماع ويترافق
الاحباب . وقد صار معروفا في التدخل بكل موضوع فهو
الطيب وهو الفيلسوف وهو التاجر وهو كل شيء بحديثه
ولكنه لا يدرك من هو في عالم الوجود وما لا يعلم من
اين والى اين ولماذا وجد على سطح الغربا .

والمرحوم سعد كان يحب اميركا لأنها كما سمعته مرة
يقول تفتح قلب الاعمى ففي بلادنا الافندى والبك

والمطران والخوري والاستاذ لا يعطون دورا لمثله بالكلام
واما هنا في اميركا فكل انسان حر بما يشاء ان يتكلم .
وكان القوم في تلك المدينة قد عرروا طبيعة المرحوم
سعد فاستأنوا باحاديثه وصاروا يرون بها تسلية ولذة بما
يعلل به ويرهن ويُسند اليه بصور مضحكه «فيقرقون» عليه
ويحمسونه حتى يفتأط وعند هذا تبدا تسلياتهم .

جمعتني الصدف مره في حلقة من هذا النوع في ذلك
البلد واما شاهده احدهم قادما من بعيد صاح بنا قائلا: ها
هو سعد قادم فاقتحوا موضوعا ليستلمه ويسطنا قليلا من
الوقت .

وكان الجميع يلخون السكایر فقال احدهم ان الذي
اكتشف الدخان هو اميركي فان اميركا ام الدخان .
(وعندها دخل سعد فحيى وجلس وقد سمع اخر جملة
من المتalking: اميركا ام الدخان)

وبعد ان حيى وجلس قال: بماذا تتحدثون اتكلمون
عن الدخان؟ الدخان مثل البخار يصعد من الماء اذا وضع
فوق النار .

فاجابه ذلك الذي قال العبارة: لا لا . نحن لسنا بموضع
اصل الدخان فاكفنا شر فلسفك ولكننا اختلفنا على كون
الدخان الذي نلخنه من السكایر او بعبارة اخرى السكایر

نفسها او التبغ اكتشفه امير كاني . فما رايک ؟
 فاجاب : الدخان ؟ الدخان عربي اكتشفه ملك العرب منذ
 الوف الاجيال

(وكان صاحبنا المرحوم يرى في اعلانات السكايو
 صور اعراب واتراك وقد علق برايه ان البدو يكثرون من
 التدخين وان الاركيلة عربية محضة فلهذا حفر في دماغه
 ان الدخان عربي على الاطلاق)

لا حاجة الى اعادة قصة الخفشار الشهيرة وما كان لذلك
 المدعى معرفة كل شيء فانها معروفة لدى القاصي والداني
 وقد ذكرتها لان قصتها مشابهة قصة هذا المرحوم بل الله
 ثراه .

اعتقد المرحوم ان يسند تعاليه الى براهين وتواريخ توحى
 اليه في اللحظة ولهذا عكف على كلامه بقوله :
 كان لذلك الملك ابنة وحيدة يحبها حتى العبادة ولا يرضي
 ان يبيع شعرة من شعر راسها بكل ممالك العالم فذات يوم
 دخل على غرفتها فوجدها دائحة والدخان يخرج من فمها
 فصاح باسمها واسمها الله يلعن الشيطان كان اسمها
 على راس لساني ... اسمها ... اسمها ... اسمها ... اسمعوا حتى
 اتذكر ... اسمها ...
 ولا اعلم لماذا دقر عن هنا الاسم مع انه يستطيع ان

يفبرك مجلدات ولكن لكي يكون للحادثة وجه من المجون
عندنا الهمه الله ان يدقق حتى يكتشف اسمها
وانتظرنا بفارغ صبر ان نحصل على اسمها ليمشي في
فضته لنرى الى اين يوصلنا حتى مضى نحو نصف ساعة وهو
يفرك جبينه ويلعن الشيطان كيف انه نسي اسمها وقد كان
على راس لسانه ولم يلعله او يصقه ولا هو موجود في مكانه
وكيف طار لا احد يعلم .

اخيرا وانا كا يسوق الى استماع الحادثة حدثتني نفسى
ان اقذف كلمة باسم لعله يأخذها ويريحنا من حزره
وانتظارنا فقلت له: اسمها يا عم دخانة .
فابرق اسرته ايما ابراق وخطب برجله على الارض وصاح
دخانة اسمها دخانة .

اما قصته فقد انتهت والناس يضحكون ولكنني انا قد
خفت ان يكون قد صدق ان اسم ابنة الملك الذي قص
 علينا شيئا من تاريخه دخانة ولهذا بعدها تفرقت الحلقة
جلست بجانبه وهمست في اذنه:
— ارأيت كيف خلصتك من تعزير نفسك واعطيتك اسا
مختلقا لابنة الملك?
— اسما مختلقا او تري ان تضحك علي ؟ انا ولد ؟ او لا
اعرف اسمها وقد كان على راس لساني ؟

— ولكن اقسم لك بالله ان الكلمة «دخانة» جاءت مني عفوا
وقد شلتها شلتها لعلها تلتصق بحائط دماغك وقد لصقت
وخلصنا من الانتظار.

فما كان منه الا انه ادار لي ظهره وهو يشرق دخان
النارجيلة ضاحكا بملء فيه من محاولتي اقناعه بان مسالة
«دخانة» رمية طائشة لا محل لها من الصدق وقد ردد
ثانية قوله: يريد ان يضحك علي انا لو كنت متزوجا لكان
اصغر اولادي اكبر منه!

وقد بلغني ان سعد قمر توفي منذ سنة واظنه وهو في
ضريحه لا يزال يعتقد ان اسم ابنة الملك العربي دخانة وانا
هي التي اكتشفت اللسان حتى سمي باسمها فبل ان
اكتشفت اميركا بالوف السنين.

وانا حزين جدا جدا اني لم اقدر في حياتي ان اقنعه بان
تلك الكلمة التي حفرت على صفيحة مخيشه انما هي تلفيق
واخاف انه لا يزال في سكينة القبور يعكر صفو، تلك
السكينة الرهيبة بتردید تلك الكلمة الملفقة.



لنا عمل ولله جهاد مال

لنا علم وللجهال مال

مسكين جورج بحري ينقصه امر وهذا ما يجعله جزينا
كل ايام حياته.

هكذا يسمعني دائمًا كلما قابلته يتهد ويخبرني ان عنده
اراء سديدة ولكنه يجهل قواعد اللغة العربية.

وجورج بحري تاجر من التجار الكبار بين السوريين
ومعروف بين اهل الثروة والمقام التجاري ولكنه بعد ان
حصل على ثروته ومقامه وقد كان من اوائل المهاجرين
واهان نفسه في الاعمال الاولى حتى صعد باجتهاده الى
راس السلم التجاري وعندئذ تلفت فرای نفسه مفردا
لا ينقصه شيء بالغنى هو من اربابها. بالواجهة هو من
اعيانها. بالزعامة هو من اركانها. لا ينقصه الا شيء واحد
وهو قواعد اللغة العربية ليخطب في المجالس وينشئ
المقالات على صفحات الجرائد.

وهذا الرجل صورة من صور السوريين العتق الذين
يحبون الظهور بما ليس فيهم وتمني الامور البعيدة عنهم
فلما كان فقيراً كان يتمنى لو يصير غنياً حتى اذا صار غنياً
اصبح يتمنى لو كان وجيهاً فتدخل الجمعيات وتبرع هنا
وهناك وعكف عليه الناس لمقامه المالي حتى اذا صار

كبيرا في عيون فئة من الناس تمنى لو انه خطيب يقف على المنابر فيجتذب قلوب السامعين . وهو يظن انه لا ينقصه من الخطابة والكتابة الا قواعد اللغة وقد جاء الى اميركا ولدا من مزرعة ليس فيها مدرسة تعلمه .

مسكين جورج بحري انه لمن المحننات ان لا يكون ملما بقواعد اللغة العربية ليلبس ازاءه الجميلة اثوابا لغوية بديعة يفيد بها المجموع .

ولهذا الرجل اطوار غريبة خبرتها بنفسي فانه يحب المعاشرة والمسايرة ومرافقة المارين فيوصلهم الى الاماكن التي يقصونها فيودعهم ويعود وقد حدثت لي معه حوادث عديدة نفرتني قليلا عنه مع اني لا اعرفه كثيرا وقد تسلط على مراقبتي غصبا عنى .

مرات عديدة وانا سائر في الشارع ارفع راسي فاراه قادما نحو من اول الشارع فلا تقع عيني على عينه حتى ارى يده مرفوعة حتى اذا وصلنا لمقابلة بعضنا بعضا دب يده على يدي فهزها هزة هائلة . ولهذا صرت اذا رأيته من بعيد اخفض بصربي الى الارض كاني لم اره وهو اكبر من الجاموس فاحول مسيري الى الجانب الثاني من الشارع ولكن هذا لم يكن يفيد فان حضرته مرة وقعت عيني على عينه من بعيد فرأيته رافعا يده اذ لمحني فلذت

بالحيلة ومالت قدماي الى الجانب الثاني من الشارع
وتابعت الخطو وعيني لا تنظر الى ذلك الجانب ولكن
شد ما كان دهشى عندما رأيت رجلاً كبيراً يفرق جموع
الناس بالعرض رافعاً يده ليخطبها على يدي فخطبها ووصلت
طرقتها عنان السماء ولا يعلم الا أنا والله كم تالمت من تلك
الهزة والضربة الا انني لم اشاء الوقوف لثلا يكثر ازدحام
الناس على مشاهدة ادوار الرواية التي كنت واياه بطلها
ولهذا سحبته يدي من يده وتابعنا المسير اما هو فوضع
سراء ايضاً على كتفي وابقى يمناه يميناً ومشيناً هو
يتكلم وانا العن الحظ . وكنت كلما اردت الانفصال عنه
يرجو مني ان ابقى معه لنقطع الشارع الفلاني وهو يخطب
في اذني تارة بالتجارة واخرى بالصحافة نم يبدا بالعلم
فيستهني بالسياسة الى ما هنالك من الفنون المخلوطة في
دماغه . وكالعادة كما تقديم عندما فرغ من كلامه الطويل
سالني رايي قائلاً: « الا ترى ان عندي اراء؟ » فجامعته
بقولي «نعم اراء واي اراء!»

فابرقت اسرته لجوبي الحسن ولكنه عاد فقال ولكنني
اتاسف يا عزيزي انتي اجهل اللغة العربية فلو كنت متعلماً
لخطبت خطباً نافعة .

فقلت له: ولكن اللغة ليست بذات بال اذا كان عندك فكر

قال بلى ولكن كيف استطيع ان احوك ارائي؟
 فقلت له انه يستطيع ان يطالع الجرائد والمجلات
 والكتب فيكتسب منها الاصطلاحات العربية فاذا استعملها
 بكلامه لاينقصه شيء البتة لان قواعد اللغة ليست بلازمة
 ولا هي بضرورية لمن كان عنده اراء كارائه.

فأخبرني اذ ذاك انه كثير المطالعة وانه يقراء كل كتاب
 وكل جريدة ومجلة تقع تحت نظره وانه صار خزانة
 للاصطلاحات العربية.

وفيما نحن بهذا الحال اذ التقينا بشاب يعرفه جورج فصافحة
 مصافحة شبيهة بمصافحته لي ثم عرفني عليه وأخبرني انه
 قد تكلل على عروس من ثلاثة ايام ثم خص العريس
 بكلامه وانا سمع فقال:

«اهنيك بالعرس والعروسة واتمني لك ولها الافراح
 والاتراح»

سمعت انا ما قال جورج وكدت ارسل عاصفة من الضحك،
 غير اني كظمت لاسمع جواب العريس.
 اما العريس فاجاب باللغة الانكليزية شاكر اعواطف
 المستر جورج وافترقنا عنه. عندئذ تبسمت وتطلعت بجورج
 فرأيته مبتسمًا ايضا طافح الوجه فقال لي :
 «الا ترى اذ يستطيع تركيب الكلام الفصيح؟»

فاجبته نعم وقد شاقني السجع بكلامك فاخبرني اذ ذاك انه في ذلك النهار وقعت عينه في جريدة على «الافراح والاتراح» فاحبها وحفظها في فكره الاستعمال وقد سر جدا للطرف الذي جعله يتلقى بعرس ليقولها له ظانا ان الاتراح مرادفة للافراح لانه فهم هذه ولم يفهم تلك وانقضى ذلك النهار وانا كالماخوذ فكلما فطنت لما حدث امامي اضحك لنفسي كالماخوذ ولا ازال كذلك الى هذا اليوم.

والمستر جورج يحفظ كثيرا من الامثال التي يدعم بها احاديثه وكثيرا ما يعزز حوادث خطيرة ل نفسه كانها حدثت له وهي في بطون التاريخ القديمة يسمع بها فتلذ له فاذا جاءها دور يناسب المقام الذي يكون فيه يسرد قصتها جاعلا نفسه بطلها.

وهو يعتقد بذكاء السوري المفرط ودائما يتاسف نكون السوريين غير متعلمين والا لفاقوا على كل الامم بذكائهم ومن امثاله على ذلك انه استطاع ان ينجح في بلاد غريبة كان يجهل لغة اهلها وقد جاء الى اميركا ب ساعده وحده فدار الصعوبات الكثيرة وتغلب على المعاكسات فذال حظا وافرا من الثروة . اما تاسفه الشديد فلانه دخل ميدان اميركا خلوا من العلم فلو انه كان عالما لكانت ثروته

اضعاف ما هي عليه اليوم.

و كثيرا ما ينظر الى المتعلمين من السوريين فيرى معظمهم
معدمين فيهز راسه اسفا لما ضيعبوه من الحظوظ مع انهم
حاصلون على الاساس الذي يستطيعون ان يبنوا عليه التقدم
العظيم في عالم التجارة.

قال : يأتي السوري المتعلم الى اميركا فيتا凡 من كل
مهنة . لا يرضي بيع بالكشة ولا بالجزدان و اذا اشتغل في
محل لا يكاد مقلده يسخن تحته حتى يترك المحل هازنا
باصحابه .

و قد حدث بهذا الرجل حادث ادى الى نفوره من كاتب
في محله و ذلك انه جاء يوما الى الكاتب فنصح له ان يهين
نفسه اذا كان يريد الصعود الى قمة النجاح و اعطاه مثلا
على ذلك نفسه فقال له انه لو لم يحمل الكشة سنوات على
ظهره كالحمار ويقطع الاموال كل يوم مشيا على قدميه
لما حصل على مركزه التجاري ولما كان يشغل في محله
كثير من الناس المتعلمين كالكاتب المنصوح له . ثم زاد
على ذلك انه لو كان مثل الكاتب متعلما وجاء الى اميركا
لكان بلا شك بمصاف اغنياء شارع «وول» . اما الكاتب
وقد كان خريج كلية يشغل عند المستر جورج ليرى له
بابا لمستقبله ولم يكن يرى ذلك الباب مفتوحا في خلال

عشر سنوات . فاجا به :

«ولكن اقسم لك يا مستر جورج انه لو جئت حضرتك الى اميركا متعلما مثلـي لـكـنت كما انا تـشـتـغلـ لـغـيرـكـ منـ الـذـينـ جـاءـواـ الـىـ اـمـيرـ كـاـ لاـ عـلـمـ وـلـاـ مـعـرـفـةـ فـلـمـ يـيـالـوـاـ بـحـمـلـ الـاـئـقـالـ عـلـىـ ظـهـورـهـمـ وـصـعـدـواـ سـلـمـ النـجـاحـ درـجـةـ درـجـةـ حتـىـ وـصـلـوـاـ الـىـ اوـجـ مـقـامـهـمـ . اوـلـثـكـ لوـ كـانـواـ مـتـعـلـمـينـ لاـ كـنـفـواـ بـعـلـمـهـمـ وـاقـفـواـ مـنـ الاـشـغالـ الـاـوـلـيـةـ التـيـ لاـ يـأـنـفـ منهاـمـ كـانـ مـثـلـ حـضـرـتـهـ . وـقـدـ قـالـ لـهـ اـيـضاـ اـنـهـ يـعـبـ انـ يـشـكـرـ اللهـ لـكـونـهـ لـيـسـ مـتـعـلـمـ وـلـاـ لـمـاـ كـانـ غـنـيـاـ كـماـ هوـ الـيـوـمـ .

وقد انتهت تلك المحادثة عن طرد المستر جورج نكاشه
لان هذا قال له اخيرا هذه سنة الله في خلقه — لنا علم
وللجهال مال.



عارف الجميع

عارف الجميع

لعزيز سيار ميزة عن باقى البشر فهو يعرف كل من يراه فإذا راك حياك وسلم عليه لكتوسال لكت عن صحة افراد العائلة واحكمى لك قصة عن المرحوم جدك الذي نعرف عليه في الشام مثلا وان المرحوم اباك كان من اعز اصدقائه عزيز سيار هذا مخلوق عجيب وبالاخص بتواريخه التي يفصلها عن حياة هذا وحياة ذاك وكثيرون لاول وهلة ينصاعون الى حديثه لتصديقهم اقواله عن معرفته بالمرحوم فلان وصداقه القديمة لهذا ولذاك ومواصلته فلانا واخر قوله عادة عرفت به وعرف بها وهي انه اذا التقى بانسان وبعد ان يحييه ويسلم عليه ويسالم عن صحة افراد العائلة يقص له واقعة حال مع احد المرحومين يشبك ساعده بساعد الملتقى به ويسيير الاثنان على الطريق حتى يتحنن الله ويمر انسان اخر فيودع الاول ويمسك بالثاني بعد ان يقول للاول «البقية تاتي» ان شاء الله في المشوار الثاني اكمل لك القصة . ثم يبدأ بذات الدور مع الثاني وهكذا يظل يودع هذا ويلاقى ذاك حتى ينتهي النهار الا ان كثيرين من الذين درسوا اخلاق عزيز عرفوا مبلغ الصحة في احاديثه فصاروا يتراهنون على ما اذا كان يعرف

شخصاً ما أو لا يعرفه فيقصدونه وغالباً كان المراهنون يخسرون لأن للرجل ولها شديداً بمعرفة العيال والأساء ويكتفي لذلك أن يذكر عن المسؤول عنه لمحه صغيرة كان يقول هو فلان من البلد الفلاني من العائلة الفلانية تعرفت بابن خال كنة عمه في عام كذا وكذا الخ

حدث يوماً أن عزيزاً كان في أحد المحال السورية في يوم عاصفة ثلجية أوقفت الاعمال وكان عدد من أصحاب المحل وزبائنه مجتمعين داخل المحل يستدفون وفي جملتهم كان عزيز السيارات وصدق أن العمل الذي كانوا يعملونه قد انتهى ولم يشا أحدهم الخروج وفيما هم كذلك اذ دفع الباب ولد ويده اعداد جريدة فطرح احدها الى داخل المحل وقبل راجعاً فتناول احد الشركاء العدد واخذ يقلب بصفحاته فصاح به عزيز «هات لنا اخبار الجريدة لتسلى بها فلا عمل لنا اسوى الانتظار حتى تهدى العاصفة فنخرج»

فناوله التاجر العدد وقال له «اقرأ لنا مقالة خليل لقمان في الصفحة الرابعة»

وما لفته هذا الاسم حتى اهتز كل من كان موجوداً وصاح الجميع «أي والله اسمعوناما يقول هذا الكاتب العظيم فإن كلامه لسحر يدخل القلوب ويطوي منازل النقوص طيا»

اما عزيز فقد ابتسم لدى سماعه اسم الكاتب وهز راسه
 استخفافا برغبة الجمود ثم قال «يحرق قلب خليل ما اكتبه
 والله اني اتعجب كيف يستطيع هذا الشاب ان يكتب فقد
 كنت معه البارحة طول النهار وبعض الليل وكيف تمكن
 من كتابة هذه المقالة لعدد اليوم لا اعلم»
 عندئذ ساله احدهم «او انت تعرف خليل لقمان او هو في
 هذه المدينة؟»

اعرف خليل لقمان؟ او هو في هذه المدينة؟ وكيف
 لا اعرفه وهو من اعز اصدقائي وقد جاء نهار امس من بفلو
 خصيصا لنجتمع سوية · خليل لقمان وعزيز السيارات اثنان في
 واحد»

فقال واحد من الحاضرين وقال «باللهصف لنا خليل
 لقمان فاني دائما اتمنى واتحسر على روئية رسم له واعد
 الاجتماع به من امامي حياتي فوالله انه على لسانى وفي
 قلبي كيما توجئت»

هنا اخذ عزيز سيار يصف للقوم خليل لقمان فقال انه
 شاب لا يتجاوز الخامسم والعشرين وان الذين يطالعون كتاباته
 يتواهبون انه فوق الخمسين ولكن حقيقة عمره خمسة وعشرون
 سنة شاب مربع القامة ايض اللون جميل المحيا عالي
 الجبين اسود العينين يستحي من خياله مملوء عواطف يطالع

الناظر اليه بوجهه تينك الرقة والانسانية اللتين يقرهما في
خلال سطوره دمث الخلق يشرب كلامه كالخمر ولا الطفو لا
اجمل من شاب كهذا في العالم »

قال هذه الاوصاف والسامعون يتزعمون لذكر خليل لقمان
لما له في قلوبهم من المنزلة السامية

جرى كل هذا واحد الشر كاء في المحل واقت الى
منضدته واضع راسه على كفه وعيناه تنظران عزيز السيار
يحيط القوم وصفا بخليل لقمان وكان التاجر يتسم بابتسامة
نها معنى يعرفه الخبرون بأمور الفراتية. ولما انتهى هذا
الدور وخرج عزيز من المحل وأكثر الذين كانوا موجودين
انتفت ذلك التاجر إلى أحد شر كائنه وقال له «اتراهن
ان عزيزا لم يجتمع بخليل لقمان ولا راي له وجها؟»

فاجابه الشريك الآخر وقال «لا ياشريك لا تغلط ان
عزيزا يعرف كل مخلوق وكفى برهانا انه ذكر اوصافه
والا فمن اين اتى بها ؟
 فقال التاجر لشريكه

لا تجادلني قلبي يحذبني ان عزيز السيار لا يعرف
خليل لقمان ولم يجتمع به في حياته اتراهن على ذلك ؟»
فاجابه شريكه

وكيف يمكنك ان تعرف حقيقة الامر ؟

— الى صاحب الجريدة التي يكتب فيها خليل وهناك
 نساله عنه لعلنا ننتهي الى حقيقة الامر
 وذهب الاثنان الشريكان الى ادارة الجريدة في الحال
 فاجتمعوا بصاحبها الذي احسن استقبالهما وادخلهما الى غرفة
 التحرير وبعد ان جلس الثلاثة فتح التاجر فمه بالكلام فقال
 «جئنا اليك يا افندي صدقة دون ميعاد فقد بلغنا ان خليل
 لقمان موجود في نيويورك فاجربنا زيارة الادارة للتعرف عليه
 واداء امتنانا لكتابته على صفحات جريدتكم الزاهرة
 تشجيعا له على الاخذ بناصير جريدتكم المحبوبة»
 فاجاب الصحفي وقال

«اشكركم من كل قلبي ولكن باللاسف ان خليل لقمان
 عاد الى بفلو صباح اليوم وقد جاء نيويورك في ليلة واحدة ولم
 يقم غيرها خوفا من مقابلة الناس ولكنني سأكتب اليه واعلمه
 بتشريفكم الادارة للسلام عليه ولكن من اين عرفتم انه
 كان في نيويورك ولا اظن ان احدا عرف بقدومه الا انا؟»

فابتسم الشريك المراهن بجانب عزيز وقال في سره
 لقد ربنا الراهن لأن خليلا كان في نيويورك حسب رواية
 عزيز

اما الشريك الثاني فقد شعر بعض هذا ولكنه لم يشا
 ان يسلم بل اخبر الصحفي بان عزيز السيار اخبره عن قدم

خليل . اما الصحافي فعندهم وقع في مسمعه اسم عزيز السيار
 ضحك ضحكة قوية وقال «الآن عرفت سبب قدومكما فيظهر
 ان عزيزا لا يزال متاثرا من حادثة امس فارسلهما لتعتذرا
 امام خليل عن حادثة المشومة . ولكن لا باس ان اخبر كما
 ان خليلا لم يهمه الامر بل كان الفصل الذي مثله عزيز
 امامه البارحة فكانه عظيمة لا يزال حتى هذه اللحظة يضحك
 منها»

فاجاب التاجر «ولكننا لم نات لهذا الغرض بل جئنا
 والكلام بسرك لنعرف من اين هذه الصدقة الجامعية بين
 عزيز السيار وخليل لقمان؟»

عندئذ بدا الصحافي يخبر الزائرين تاريخ تلك الصدقة
 وهو يقول كلمة ويضحك خمس دقائق اما التاريخ فكما ياتي
 قال الصحافي

«هبط علي خليل لقمان هبوط الملائكة على انسان في
 حين لم اكن على ميعاد واول ما وصل سلم علي واطلبني
 انه قادم لغرض واحد وهو الاجتماع باستاذ في جامعة
 نيويورك ولما انهى غرضه زار الادارة ليتعرف بي واوصاني
 مشددا ان لا اذكر لاحده الناس عن قدومه وان لا اعرفه
 بتة بانسان . وقد شاء ان يودعني ليهرب الى بفلو على
 قطار الليل ولكنني بعد الحادي الشديد قبل ان يكون ضيفي

تلك الليلة وحدها حيث اصرف السهرة معه ولا ثالث ينتنا
 فاقفلت الادارة وذهبت به الى محطة الطوف وفيما نحن
 جالسان اذا بعزيز السيارات قد جلس حيالي وسالني عن صحة
 افراد العائلة في الوطن واذا كنت اسمع منهم كل بوسطة الى
 ما تعرفانه من سوءاته الكثيرة ثم استاذن مني عددا من
 جريديتي كان يدي واول ما وقع نظره على مقالة صغيرة
 لخليل لقمان قال لي «اتدري اني لا اقرأ جريدة الا لان
 خليلا يكتب فيها وان الواجب علي ان احتفظ به لثلا تنقل
 كتاباته الى جريدة اخرى». ثم سالني عما اذا كنت اعرفه
 شخصيا فاجبته نفيا لارى ما وراء ذلك فقال لي ان الاحسن
 ان لا اجتمع به فاذا رايته سقط من عيني لان له خلقا اعوذ
 بالله هكذا قال له شعر مسترسل على كفيه كالدراوיש
 وله انف كخر طوم الفيل وادنان كبير تان تعد الواحدة بثلاث
 اذان وعينان صغير تان كعيني الخلد والخلاصه له خلقة مخيفة
 ثم قال مسكين خليل لقمان على سخته ولكن له قلما
 ومواهب عقلية سامية والاحسن للناس ان لا يتعرفوا به .
 وما وصل الى هذا الحد حتى جاء الطوف فنهضنا واسر عنا
 مع الركاب للنزول فيه وقد ظل عزيز ملاصقا ايامي من
 عن يسارني وخليل لقمان على يميني لا يفتح فاه بكلمة
 ولكنه كان يبتسم وكان الاول كل الطريق يصف لي خليل

كما يعرفه وخبرني عن حوادث جرت له معه في بفلو وفي
نيويورك وانه صديق له ولعائمه من زمان حتى وصلنا الى
الجانب الثاني من النهر فخرجنا مع الركاب الى ارض
بروكلن وهناك وقفت لاودع عزيزا ليأخذ طريقه وانا مع
رفيقني نأخذ طريقنا وقد شاءت العنایة ان لا يذهب في سبيله
حتى يكمل الفصل وبعد ان ودعني هزا باليد قال لي ولماذا
لم تعرفي بصاحبك فقد ظننته بادي، الامر غريبا عنك؟
فقمت اذ ذاك بواجب التعريف بين الاثنين فقلت،

الحق علي يا صديقي في هذا التقصير ولكنك يا عزيز لم
تعطني سبلا لا عرفك بصديق كلينا خليل لقمان . وفي تلك
اللحظة لم يعد عزيز سيار عزيز السيار فقد امتصع لونه كانه
ابدل خلقا ولكن مخليلا اقترب منه فامسك بيده وقال له
انه عرف منذ البداية بحديثه انه كان غلطا نا وقد اكتد تماما
انه — اي عزيز — كان يصف شخصا اخر ظنه خليل لقمان
اما عزيز فلم يقل كلمة ولكنه سحب بيده ومضى في
سبيله»

عند هذا توقف الصحافي عن الكلام بعض ثوانٍ ثم
استأنف الحديث فقال «وقد بتنا ليلة امس وانا اجرب ان
أ ملي خاطر خليل لاذهب عنه تأثيره الشديد على حالة عزيز
في ساعة تعرف به ولكنه لم يطق نوما وكان كل وله

واخرى يسمعني تويفخه اللطيف لتساوتي الشديدة التي استعملتها معه وقد قال لي انه لو عرف ان المسالة مستتبى كما انتهت لما صبر على سماعه حديث عزيز ولكن قطع حديثه وعرف نفسه به خوفا من التهور الذي تم»

وخرج الشركـان من ادارة الصحافي ولا يزال حتى اليوم وقد مضى على الحادثة عشر سنوات يتنازعان على الرهن فالاول يقول انه ربح الـرهن لأن عزيزا لم يعرف بـخليلـ ولا اجتمع به كما ادعى والثاني يقول انه هو الرابح لأنه ظهر ان عزيزا اجتمع بـخليلـ وكفى



أقصر الطرق

اقصر الطرق

لقط الناس ثلاثة اسابيع بحادثة خليل عساف وهي انه خطف ابنة مراد البسيط وقد شغل اهل المخطوفة اسلام التلغراف والتلفون كل週الاسبوع الاول مفتشين على ابنتهم فلم يفلحوا بخبر عنها وعن الذي خطفها بعد週الاسبوع الاول صار اقرباء مراد البسيط يلومونه لعدم سماحة لابنته ماري بان تتزوج بخليل تزوجا عاديا فلو انه رضي بذلك لما عرضها للانقیاد الى اراده حبيبها والهرب من يهاتاها مما جعل اسم العائلة مضغة في افواه الناس . اما مراد فكان يتلقى تواريخ ذويه بصبر عجيب فعثا حاول اقناعهم بأنه لم يصد خليلا البتة وانه كان يميل الى مصاهرته ولم يظهر له عدم رغبة فيه ولا مرة وجلما قال له اخر شيء ان يقتضي بمصروفه وان يعمل باجتهد كلي ويصبر على حاله في الاقل سنة او سنتين لبينما يتوفى معه على الاقل مبلغ من المال لنفقات العرس ولو انه عرف ان الاخرة ستكون على هذه الصورة لرضى به صهرا ولم يعرضه لخطف ابنته ولكن ما العمل ؟

بعد週الاسابيع الثلاثة عاد خليل الى نيويورك تصحبه عروسه التي زفت اليه في احدى قرى بنسلفانيا ولما وصل

الى المدينة اتفقا على النزول في احد نزل نيويورك لأن العروس خافت ان تظهر امام ايها وقد كسرت ارادته وخشيته من العواقب والعريس ايضا خاف التسرع بالظهور امام حميء وحسب ان اهل عروسه لا يزالون نارا تلتهب غيظا منه ومن زوجته

في ذلك اليوم اختلف العروسان على من يوصل الخبر الى اب العروس وانما كان اختلافا يتخلله الحب والدلال فان العروس رفضت بتاتا ان تذهب الى بيت ايها ولم تعرف بعد اذا كان يرضى عنها ويصفح عنها اته مماقامه واقعده وجعله يلزم البيت ثلاثة اسابيع والناس افواجا يأتون وينذهبون الى داره كانه اصيب بفقد ابنته لا انه انعم عليها بزواجه . والعرис قال ان اباها ليس اباه فهو لا يهمه رضي او لم يرض فاذا كانت عروسه تلح بالصلح فالامر متعلق بها نفسها . واخيرا اتفقا على ان يلقيا القرعة على من يكون رسول البلاغ فوقعت القرعة اولا على العروس فلم تذعن واقتربت ان تثنى القرعة فرضي الزوج مضطرا وووقيعت القرعة الثانية عليه فتردد اولا وحاول التملص من تلك المهمة الصعبة ولكن نظرات ماري قربته الى الحيلة فهب ل ساعته وتناول التلفون فطلب حماه مرادا وخاطبه قائلا «انا خليل قد عدت الى نيويورك وعلمت انك ساخذ

على فعرفت اذى مخطىء وقد قالت لماري ان تعود الى يتك
 فلم تحفل بقولي واخيرا عملت ما يجب على فها اني تارك
 لك ابنتك في نزل غراند فتعالوا خنوها وانا مسافر الى
 محل اقامة اخي في ولاية تكساس بقطار الساعة الثالثة
 بعد الظهر »

قال هذا وسكت التلفون ثم تطلع بماري تطلعه جد كسرت
 قلبها فارخت راسها على صدره وسالته والقصة ملء صدرها
 «اصحى انك ستركني يا خليل . رجلي ورجلك
 لا افارقك حتى الموت »

قالت هذا والدموع قد قارت الانحدار من عينها
 ولكن خليلا صد دموع امراته بضحكة طويلة اتبعها بقبلة قوية
 على عينها التي قارت التدمير
 ثم اتبه فجأة وقال «قربت الساعة وبعد قليل لا بد ان
 يحضر ابوك وجميع اهلك فماذا نعمل؟»

بعد تردد قليل اتفقا على ان يكمل الدور الذي رفع
 خليل الستار عنه فتم بينهما ان تمسك باذياله بشدة عندما
 يسمع وقع خطوات اهلهما قرب الباب وهكذا كان فلما دخل
 الاب ووراءه امراته وابنتهما الكبيرى شاهد الجميع ابنتهما
 ممسكة بخليل وهي تهدده بقولها «لا يمكنك ان تخبطو خطوة
 من هنا ما لم يأت اهلي ويروك»

وكان ان مرادا سمع العبارة التي قالتها ابنته للذى خطفها
 فلم يقل شيئاً بتة ولكنه اسرع خطاه الى محل الحادثة
 فجذ بابنته عن خليل ودفعها الى جانب وقال لها «ابعدى
 انت عنه» ثم امسك ييد خليل وخاطبه بصوت حاد متكسر
 بالغصات التي كانت قد انزرت في طريق رئته الى حلقة
 «ماذا ت يريد ان تعمل الان . اما حياتك واما شرفك . عملت
 معنا هذا الفصل ومرادك الان ان تنهيه على حسابي انا ؟
 ما هذا الامل منك يا خليل »

وكان ان امراة مراد قد اقتربت من خليل وين عينيها
 سيف لامع من الغضب فابعدها زوجها وأشار اليها ان
 تخفض صوتها لثلا يأتي سكان النزل ومعهم البوليس
 فتكون الضلاله الاخيره شرًا من الاولى

عندئذ نهض خليل ونظره الى الارض وقال . «لا تغضبو
 ولا تحمقوا فانا ماقصدت ان اغضبكم فقد ذلت انكم تريدون
 ابنتهكم فاخبرتم اين تجدونها واما وانتم تريدونني معها
 فهذا كل ما كنت اشتريه واتمناه »

ولم يخرج القوم من تلك الغرفة الا وتبدلت الحالة
 من سخط الى فرح وكل من الحزينين يظن نفسه الظافر على
 الآخر . وقد ذهب الجميع الى بيت مراد البسيط حيث اجتمع
 عدد من الاهل والمعارف وفي اليوم التالي ضجت السمعة

في المدينة ان مرادا رضي عن ضهره وابنته وانهما اكثريا
الطابق الاعلى في المنزل الذي يسكنه تكون ماري قريبة من
يتا ابوها

خليل عساف كان مشغوفا بحب ماري البسيط وكان
ابوها عارفا بذلك ولم يكن ما يجعله يميل عنه الا خلوه من
المال ومعلوم ان الزواج يكلف نفقات مالية كثيرة ولهذا
بعد امته الى سنة او سنتين لعل في هذه المدة يقوى على
توفير المبلغ الكافي . الا ان خليل لم يرق له التاجيل
و كذلك ماري ولكنها كانت ايضا عارفين تمام العرف
بنفقات الالزمة واهمنها ثمن الخاتم الماسي وبعد البحث
مرارا بينهما في هذا الامر اقترحت ماري نفسها على حبيبها
ان يهربا وينجوا من المصاريف فيحصلان على ممتناهما دون
كلفات لا معنى لها وهكذا فانهما هربا دون علم احد دون
ان يعرفا تماما اذا كان الاب يمنع بتاتا عند الساعة الاخيرة
وعاش خليل واماته عيشة هنية وقد نسي الناس كيف
كان عرسهما وبعد سنتين جاء بكرهما فسمياه ولهم و كان صورة
بالجمال كانه هبة من ملائكة الله

اما احوال خليل بعد الزواج فصارت على جانب من
ال توفيق ولهذا اشتري بيتا جميلا لسكناه وجعل في بنصر
اماته خاتما ثمنه الفا ريال وفي خزانتها ثياب فاخرة تحسدها

عليها كثيرات من العرائس

ذات ليلة كان حمو خليل زائرا في بيت ابنته ماري و كان
وليم يدب على الارض عند قدمي جده فيستند على رجليه
ويدي واحلة من يديه وبالثانية يضرب قدم جده ضاحكا
بملء شدقية الصغيرين فيرجع جده قدمه تظاهرا امام الطفل
بالخوف من ضربه ثم يقدمها بسرعة ويعود فيسحبها وقد نظر
يلاعب حفيده الملوك حتى افعم قلبه حبا فنسله عن الارض
وأقامه على صدره يقبله ويشهه والطفل يضحك ويملا: البيت
سرورا والقلب ابتهجا

ثم لاحت من العجد نظرة الى الخاتم في يد ابنته التي
كانت تغامز طفلها ليلاعب جده وقلبها يرقص لكل حركة
من حركاته فقال لها «اهذا هو الخاتم الذي اخبرتني عنه
امك ارني ايه باقتراح»

ففزع ماري خاتمتها وقد ملته الى ايها فتأمله دقيقة من حيا يده
الطفل قليلا وهو ينظر الى الخاتم يده الثانية فتنهد وقال
ل الاول مرة موجها الخطاب الجدي الى ابنته «يا ابنتي ما كان
احلالك لو تصبرين الى هذا الحين فتتزوجين بخليل ونعمل
نك عرسا ما صار مثله ولن يصير فيرى الناس هذا الخاتم
يا صبعك وانت عروس»

فاجابت ماري «يا ابي كل ظفر من اصابع وليم من

يديه ورجليه يسوى كل الماسات في العالم فلو صبرت الى
اليوم لبينما يستطيع خليل ان يشتري لي هذا الخاتم لما
كان في الوجود هذا الملاك»

وتطلع الجد الى الطفل ثانية فراد واضعا يده في فيه
يعلوها وقد امحت من وجهه ابتسامته لم يمل جده عنه الى
الخاتم فجذبه في الحال الى صدره وكاد يفترسه بقبيلة من
خدنه ولما انتهى منها عاد الطفل يضحك ضحكته العميقه
ويحرك يديه ملائعا جده

في تلك اللحظة انضمت ماري الى الطفل وجده ولكي
تشترك بالدور الذي يمثلانه اعطت الخاتم الى وليم لعله
يؤخذ بلمعان ماسته ولكنه عندما قبض عليه وراه رمي به
الى الارض بعنف واستأنف اللعب مع جده . فنظرت امه
وابوها الى ما عمل الطفل ولما التقى ناظراهما قال لها
ابوها «الحق معه»



المتشرعان

المتشرعان

يعرف كل من جبره غبريل وداود واصف بالمتشرع وكلاهما يجهلان القراءة والكتابة حتى بلغتما العربية. الا ان اللقب الذي احرزاه هو نتيجة حوادث عديدة لهما بالمحاكمة والمحاجة بل هو صفة لاخلاق الرجلين التي عرفها القوم فمنحوما لقب متشرع وصار كل منهما معروفا بهذا اللقب

الاول جبره غبريل عامل في احد المصانع والاخر داود واصف وكيل على املاك يوجر منها منازل لمواطنيه. والاول ساكن في احد المنازل التي يوجرها الثاني وهناك كل البلاء لأن هذه السكنى تجعل البطلين - بطيء الشريعة يتقيا ن كل صباح ومساء كأنهما جبلان وليس على طالب فرحة في مساح الا ان يترصد اجتماع نذين المتشرعين فيشاهد منها من الادوار التي يمثلانها ما يغنيه عن الف

دور هزلي في الملاعب

ولقد اعتاد كل منهما مضادة الاخر حتى على الامور المرئية المحسوسة فاذا قال جبره بان الثلج ايض يجبيه داود بان الثلج اسود ولكل منهما براهين وحجج واستلزمات علوية واتهامات روحية ما انزل الله بها من سلطان

اعتد الناس من جيران وغيرهم التجمهر حول هذين
البطلين للتسلية واكثرهم يوقد النار بينهما ثم يقف الجميع
ليروا كيف تعالى شرارات المناشرة بينهما فيضحكون
ويتسلون

عندما يسمع في السوق صوت احد الاثنين اما جبره واما
داود يتالب جماعة المترججين من هنا وهناك كان ذلك
الصوت عندهم دقة الناقوس للمترقبين افتتاح ابواب
الكنيسة لكي يدخلوا للصلوة وهكذا الامر عندهم لدى سماعهم
نبرة عالية من احد الاثنين اذ ذاك يوغل القوم حلقة حولهما
ويبدأ الاثنين بتمثيل ادوارهما

اما اختلافهما فليست بذات بال عندهما فهي لا تشرق
عليها شمس يوم ثان ولهذا فكلاهما معروف عند العامة بأنهما
كثيرا الغلة انما طيبا القلب وانهما مع تصايرهما وتخالفهما
بانرائي واحيانا تقابلهما ينسيان عندما يبرد غليلهما كل ما
جري بينهما كان المقدر ما كان
كان جبره صاعدا السلم ذات يوم الى بيته واذا بدأ داود
نازلا فسلاما اولا حسب المعتاد كسلام المصارعين او
المتكلمين في المسارح وبعده يجيء دور الصراع او
الملاكمه وقد يخطف الواحد منهم روح الثاني انما السلام
لا بد منه اولا

بعد السلام قال داود

«يا جار وانا اليوم اتمشى امام البناءية اذ سقط من عل لوح زجاج فقلت في نفسي اعود بالله من هذالنهار فان جارنا جبره سيقيم الارض ويقعدها ويحيط السماء ويدمر الفضاء على راسنا قبل ان يدفع ثمن لوح الزجاج المكسور في منزله . ولكن الحمد لله يا جار لم يكن اللوح المكسور من احدى نوافذكم بل من نافذة احد الجيران ولهذا مضت المسالة واسبل الله ستره»

قال داود هذا وجبره يهم بالمقاطعة ولكنه ضغط على عوامله الداخلية ليعلم جليلة الخبر ولما انهى داود كلامه اجا به

«ولماذا ادفع ثمن لوح الزجاج وانا لست بكارسنه؟»
فرد عليه داود في الحال

«لانك صاحب المنزل المسؤول عن كل شيء فيه ما عدا السقف

— انت غلطان فصاحب الملك عليه التصليح لا سيما
والمستاجر كان خارج المنزل

— لا تعالجنا يا جبره فانا حممت الله الف مرة لاني
خلقت من شرك هذا النهار والمسالة لا تحتاج الى صياغ
وممحاكة اسأل من تريده فيجيبك انه اذا انكسر شيء من

الزواج فاصلاحه على المستاجر

— والله لو هبط البيت وصار هباءً منثوراً تخطف ذراته
الارياح لا ادفع بارة واحدة لأن هنا ليس عدلاً والشريعة
دائماً مع المستاجر ضد صاحب الملك والوكيل فاسال
غيرك اذا كنت جاهلاً هذه الحقيقة

— لا تقل جاهلاً ولا ماهلاً فانا اعرف منك بالامر
وقد جعلت الذي كسر زجاجه يدفع عنه في الحال فلماذا
المماحكة يا جار احسها ولا تدع الناس يتجمرون على
صياغنا فانهم سوف يشعرون ضحكاً منك اذا سمعوا منك
كلامك هذا

ولا حاجة الى الاتيان على كل الحديث الذي جرى
بينما فهذه مقدمة له وان القاريء الليب يستطيع ان يصور
في مخياله ماذا يعقب هذه المقدمة من النتائج ولا سيما
بين المدعويين متشرعين لكثره غلبتهم وعدم اعطاء الواحد
طريقاً للآخر لكي ينسحب فيمضي الاثنان

وكالعادة اخذت المشاجنة زهاء ساعة بينهما وكل يدعم
رأيه بالبراهين وينهال على الثاني بالتعديلات فالمسبات
هازئاً بقلة عرفاته وجله الفاضح لا مورٌ بسيطة يعرفها اي
الناس

وكان الناس قد تالبوا من خارج البنية ودخلها ومن

الجوانب والاعالي يتفرجون على البطلين - بطل الشرعية
 يتشارعان على امر لم يكن من سبيل لاحدهما ان يرى منه
 مخرجا حتى اخذت المسالة دورا جديا انتهى معه دور
 المماحكة وذهب عن جماعة المتفرجين دور التسلية ايضا لان
 الاثنين تماديا بعدما اسمع كل منها الاخر اشياء غليظة
 فتدافعا وكادا يتلاكمان فتدخل بعض المتفرجين بينهما
 وكبرت المسالة الى حد ان فريقا احتمل جبره وفريقا اخر
 اخطف داود فدخل الاول احد المنازل والثاني غيره وكل
 منهما مطبق بقبضتيه والدم على ابهة التفجر من وجنته وفمه
 يخرج حم حم الكلام والصعقات على الاخر
 والتلف قسم من الجمهور حول جبره واخر حول داود
 يهدئون روع كل منهما حتى ان الاوان للصلح بينهما وبعد
 الاخذ والرد قر القرار ان يقترب كل منهما خطوة نحو الاخر
 فقل جبره من المنزل الذي ادخل اليه الى اخر محاذ له
 ونقل داود من ذاك الذي دخل اليه ايضا الى الذي ادخل
 فيه جبره من جديد وهناك تجددت الشوؤن والشجون لان
 الاثنين رفض كل منهما القيام الى ناحية الاخر لمصالحته
 مدعيا ان الحق معه وعلى رفيقه ومن كان على هذه الصفة
 يجب ان تتحترم مكانته فلا ينهض لمصالحة الاخر قبل ان
 يأتي هو اليه

عندئذ صاح أكثر القوم تقدما بالسن صيحة هدا لها
المكان ولما تم له ذلك وقف بين المتناحدين وقال
«الحق على الاثنين»

وَمَا كَادَ يَبْدَا بِالْكَلَامِ حَتَّى نَهَضَ الْاثْنَانِ يَرِيدَانِ
مُحَاجَةً الْمُتَقْدِمِ وَلَكِنْهُمَا أَعْيَدَا بِالْقُوَّةِ كُلَّ الَّتِي مَكَانَهُ وَبَعْدَنِ
تَابَعَ ذَلِكَ الْمُتَقْدِمَ كَلَامَهُ فَقَالَ

«نَحْنُ كُلُّنَا إِخْرَانٌ وَمَا عَلِيَ احَدٌ مِنَا حَقًّا»
وَمَا كَادَ الْمُتَقْدِمُ يَصِلُّ إِلَى هَذِهِ الْعِبَارَةِ حَتَّى عَادَ الْإِثْنَانُ
فَهُنَّا وَكُلُّ مَدْسَاعِدِهِ نَحْوُ الْآخِرِ وَقَالَ «بَلِ الْحَقِّ عَلَيْهِ»
فَأَعْيَدَ الْإِثْنَانَ ثَانِيَةً إِلَى مَكَانِهِمَا بِقُوَّةِ الْجَنْبِ وَلَمَّا عَادَ
الْهَدَوِيُّ مِنْ جَدِيدٍ تَبَسَّمَ الْمُتَقْدِمُ وَتَابَعَ كَلَامَهُ قَوْلًا.

«يا اخوان!انا اكبركم سنا اطلب من الاثنين شيئا واحدا وهو ان يرضي كل منهما عن الآخر اذا وصل اليه حكمولهذا الارى ان لوح الزجاج انكسر وللوح الجديد ثمن فلا المستاجر يغنم بشمنه ولا الوكيل يدفع عنه فارجو منهما ان يسمحا بان ادفع من جيبي ثمنه فنفض المشكّل وينتهي الامر وتعود المياه الى محاربها»

قال هذا ومد يده الى جيده واخرج كل ما كان فيه من النقود ثم فتح عليها يده امام داود وقال له ان يأخذ منها ثمن اللوح المكسور فاجاب داود معتذراً بان ثمن اللوح

وصل من زمان ولا حاجة الى خسارته
وكان ان جبره ايضا شد العم المتكلم لناحيته وخبره بان
اللوح المكسور ليس من منزله ليتكرم بدفعه بل هو من منزل
غير منزله

عندئذ قرقه القوم وصار الجميع في شبه غيبة من الضحك
الذى سرت عدواه الى المتشرعين ايضا فابتسم كل منهما
اولا ثم ضحكا مع الجمهور وعندئذ قال الوسيط وهو دون
الباقين ضحكا فقد كان متدهلا متحيرا بما سمع ورأى
«اذن تخاصمتما على لا شيء»

فقال داود

«نعم يا عم على لا شيء ولو ان جبره استوعى كلامي
لما توصلنا الى كل هذا»

وقال جبره

«ولو اذكانت فهمت ما قصدت لما صرنا الى ما صرنا
اليه»

فضحك القوم من جديد وساعدهم الوسيط المتقدم
وامسک كلا من المتشرعين بساعديه بعد ان اعاد النقود الالى
جيشه وجدبها اليه فنهضا بسهولة ثم شبك يديهما بعضهما
فاطاعا وقال لها وهو يضحك مقهقاها
«من يختصم على لا شيء يصطلح على لا شيء ايضا»

تعاسة البيك

تعاسة البيك

اصطلاح السوريون على ان يذهبوا مذهبها باللقب غرباً
عجبياً فانه اذا غلط ذو مقام باسم احدهم ونعته مثلاً بافتدي
اوبيك صار المكتوب اليه افديا او ييكا واصبح يتطلب من
الناس مراعاة مقامه واعتبار لقبه
بين السوريين عديلون لهم القاب مدنية ولا ادري من اين
جاءوا بها ومن يدرى ؟

ولا ادري اذا كان احد ذوي الالقاب المتباھي بها مال
نفسه يوماً «لماذا اعطيت لقب ييك ولم ينلها غنطوس»
فلقيوس، وقاد الفحم في منزل ابي حرفوش مثلاً؟»
حب الالقاب عادة تمكنت في بعض الناس الى حد
انها صارت عندهم شيئاً عظيماً من حياتهم ·

كان المسكين نصر البيطار او نصر بك البيطار في
سعادة من حاله يوم كان خاماً لا يدرى به احد فكان يحمل
حقيبته وبيع سلعه على الامير كان في الشتا، في «فلوريدا»
ونفي الصيف في «مين» وكان بوعمل ان يصير تاجراً عندما
تصل ماليته الى عشرة الاف ريال وهو ساع بعيد واقلام
وراء هذه الغاية

الا ان الدهر لا تصفو طرقه التي يسلكها بنو المصائب

وللنصر بداع في جلب المصائب على بنيه فإذا كانت التغيرة
 تأتي إنساناً عن طريق الفقر أو المرض أو الموت فتعامة
 نصر البيطار جاءت عن طريق البكوية والى القارئ الخبر
 أنشئت في لبنان عام ١٩٠٢ لجنة للاهتمام بأمر معرض
 وطني تنشيطاً للتجارة الوطنية وتناقلت الجرائد في الوطن
 وفي المهجر أمر هذه الحركة ولما اطلع عليها نصر اعجبته
 كثيراً وحرّكه عوامل الغيرة على الوطن لأنّ مكان المعرض
 في قريته مسقط رأسه فهب ل ساعته وارسل مئة ريال باسم
 اللجنة في لبنان مساعدة لهم في حركتهم . وبعد شهرين
 جاءه جواب كتابه ممضياً باسم المتصرف وعلى الطرف
 كتب هكذا «المطالعة الشهم الوطني الغيور نصر بك البيطار»
 أما نصر فلما جاءه الجواب لم يصدق بادئ ذي بدء ان
 الكتاب له فقراءه اولاً وسمع المتصرف بهذه بحده ويكيل
 له عبارات الثناء على كرمه ووطنيته ثم قراءه ثانية وعيناه
 تكادان تتفجران تبجراً في عبارات الكاتب ثم قرأ الطرف
 ذهاباً واياباً وعيناه لا ترمان وقد قراءه أكثر من عشر
 مرات متواتلة حتى كبرت أمامه الكلمة «بيك» إلى درجة
 ان كاد الطرف لا يسعها

بك . نصر بك البيطار! بك . بك !
 وقد ظلل المسكين زهاء ساعة تارة يقرأ رسالة المتصرف

وطورا يقرأ الطرف وهو يبن مصدق وغير مصدق اهو يا
 ترى نصر بك البيطار واذا لم يكن هو فمن هو نفسه؟
 واخيرا عاد الى المسكين رشه فايقн انه هو نفسه نصر
 بك البيطار وان كلمة «بك» جاءته لقبا من دولة المتصرف
 جزاء له على خدمته للوطن . ثم عاودته الفكرة فسائل نفسه
 «اهي غلطة يا ترى من المتصرف وهل يغلط المتصرف»
 لا لا ليس بالمسألة غلط البتة فالمتصرف انعم عليه
 باللقب والامر لا يحتاج الى برهان ولا الى شاهد حال فما
 كتب بالخبر على الورق لا سبيل الى التردد في تفسيره
 المسالة واضحة فان الخط خط المتصرف يده – نصر بك
 البيطار – لا حاجة الى بيان وكفى

ولم يمض ذلك النهار حتى عرف اكثر الذين يعرفهم
 انه صار ييكا فصار منزله مقصد المهنئين ثم وصل الخبر الى
 الجرائد فنشرته وذيلت الخبر بالتهنئة ايضا وان اللقب صادف
 ربه عن كل جدارة واستحقاق

اما مالية نصر بك البيطار فلم تجتز خمسة الاف ريال
 في حين حلت عليه بكونية المتصرف وقد كان كما المعا
 يتظر وصولها الى عشرة الاف ليغير تاجرا ولكن البكونية
 وحمل العزدان لا يتفقان ولهذا فالرغم عن قلة راس المال
 افطر المسكين ان يفتح تجارة بين التجار . ثم انه كتب

إلى أهله في القرية يعلمهم بالخبر المفرح وهناك عيد أهله
عيداً عظيماً مختلفين بيكوته ابنهم نصر وشاركتهم بذلك
الفرح أهل القرية وقد اتفقوا من البارود ما يبلغ ثمنه خمسين
ليرة بذلك الاحتفال

مضى على تجارة نصر بك زهاء السنة وقد كادت تبلغ
خسائره رأس ماله لأن أكثر زبائنه عرفوا موطن الضعف فيه
فكان واحداً منهم إذا أراد استزادته بالدين لقبه بالبيك وإذا
أحب استزاله بالسرع تملقه بعبارة «يا سعادة البيك» فما
كان البيك أو سعادته يرى إلا الانصياع لارادة زبنه الكرام
حتى أدى به الأمر إلى الخسارة وفي نهاية السنة صفت
اشغاله ووطن النية على العودة إلى الجزدان لثلا يحدث
افلاس بشغله فيصير مضافة الأفواه وهذا عار على ملقب مثله
وقد كان لنصر بك كاتب يمسك دفاتره وكان هذا
شاباً ذكياً يحتقر سمه لبقوته وكثيراً ما اختصم الاثنين
بشأنه لأن الكاتب لم يناد نصراً ملقباً بالبيك إلا بعد تهديد
بالطرد ولكنه في آخر أيامه عنده كاتب صار يكثر من
تلقيبه بالبيك على سبيل الفكاهة فكان يناديه ضاحكاً وهذا
مما كان يغضب نصراً ولكنه كان يغضب عن ذلك لعلمه
إن أيامه معدودة فاقفال المحل سيكون في آخر الشهر وحينذاك
يفارقه ويختفي منه

في اخر ايام لتجارة نصر بك اجتمعت بكتبه فاننا في
ان محل بيطار بك قد اقفل فهزت رامي تاسفا على خسارته
وقلت للكاتب ان تجارة ذالم المسكين لم يكن لها محل
من الاعراب فاجابني وهو يتسم وقال «الحق ليس عليه
بل على المتصرف في لبنان» فقلت ما دخل المتصرف
بذلك؟ فاجاب وقال «انه غلط ولعنه بالبيك فدخل
التجارة ليعلی مقامه فانتهى امره بالخسارة وهذا كل ما
كان»

فضحكت للامر وضحك معي الكاتب وقد تحركت
شفتاه كأنها ترددان ان تنطقا بشيء ولكن لم يرد ان
يخرج صوته وهذا لا يخفى علي فسألته ان يقول ما في
ضميره . فتردد او لا ولكنها ضحك ضحكة شديدة وقال لي
«اقرب مني لاريك» فاقتربت ومد يده الى جيئه فاخراج
قطع ظرف قادم من البلاد وعليه ختم دار الحكومة في
يعبدا فطلعت اليها بشوق لاري ماذا فيها . فما كان منه الا
انه وضع كمل قطعة بمسكانها الاصلية قرب بعضها وقال لي
اذ ذلك اقرأ فقرات هذه العبارة

«حضره الخواجه نصر البيطار من قرية عطير ونزيلا
الولايات المتحدة»

قلت اهذا هو نصر بك البيطار فقال «هذا هو بعينه

وهذا الظرف هو بخط نفس المتصرف الذي كتب لذلك
 «المسكين منذ سنة ووضع له لقب ييك مع اسمه» قلت ومن
 حرق هذا الظرف. قال «نصر بيك او الخواجه نصر نفسه
 غب وصول هذا الكتاب من دولة المتصرف اليه يساله
 فيه شيئاً نافها وقد مزقه ولعن المتصرف اما انا فجمعت
 خطع الظرف لا عرف سبب سخطه على حاكم بلاده وبعد ما
 عرفت السبب الان اشار كه بلعنه المتصرف ليس لارماله
 هذا الكتاب بل لذاك الجواب الذي كلف المسكين كل ماله
 «المجموع بعرق جبينه وعناء سنة وربما سنين وضحك الناس
 ولو تدراءهم»



ابن غیر عصیرہ

أبن غير عصره

عندما ودع ابو ريا سيده في المدينة قال له انه لن ينسى
فضل البيت الذي ربي فيه منذ كان طفلا الى ان بلغ من
الكهولة وما كان ليترك خدمته لولا ان في راسه موala يريد
ان يغنيه وذلك الموال مشوار الى اميركا.

اما سيده وبعد ان اعيى من اقناع خادمه ابي ريا بالبقاء
عنه مع زيادة في الاجرة هز يده متسافرا وقال له:

«يا ابا ريا انك ريسوني و كنت لي كاخ ورفيق في زمن
شبابي ثم ريست ماولادي وقد حملتهم ذراعاك اكثر مما
حملتهم ذراعي وقد رأينا منك في السينين العديدة التي
خدمت بها يتنا من زمان المرحوم والدنا الى اليوم ما
 يجعلنا نعتبرك واحدا من العائلة فراقك سوف يومانا
ولكنك تلح بترك الخدمة فعساك ان تتوفق واعلم انه حين
تعود يتنا مفتوح لك ووظيفتك ترجع اليك في حال رجوعك
طمئنا عنك ولا تنس معلمك الاولاد الذين ريس لهم وقد
تعلقوا بك كانك ابوهم»

وركب ابو ريا البحر قاصدا اميركا المرتازق العظيم لمن
اوصدت ابواب النجاح بوجهه في سوريا. سار وقد اثر فيه
وداع سيده واولاد سيده اكثر من عائلته وقد تردد وقتا

يالعدول عن عزمه الا ان ذلك الموال كان غلاما فترك
المقادير تجري باعتصها وهجر الاهل والوطن مت克拉 على
الله الذي لا يخيب امل خائفه.

في اميركا قطع ابو ريا سنوات يشتغل في مزرعة بعيدة
عن نيويورك ولم يربح منها الا حين وطن النفس على
العودة الى الوطن. اما شغله فلم يتصل بي نوعه ولكنني
علمت انه كان عاملا شديدا الحرص كثير الاجتهد.

عرفته بالسمع اذ كان صديقي سليم الرقاش يذكره
امامي في احاديثه فكان يخبرني انه في اميركا وعلى
مقربة من نيويورك خادم لهم اسمه ابو ريا وقد مضى عليه
منون عديدة ولا بد ان يكون ناجحا. ولم يكن صديقي
يعلم مقر ذلك الخادم ولا اجتهد في الحصول على عنوانه
 الا ان كثيرا ما كان يذكره قائلا انه كان مريضا له وقد
كان في بيت ايه نعم الخادم الامين.

صديقى سليم الرقاش شاب من عائلة طيبة لا بل من
العائلات الموصوفة بالاكابر وقد درس العلوم في احسن
مدارس سوريا وتتعلم من اربع لغات حية الا انه قصد
اميركا لأن اباه عزل من وظيفته وانحطت حالتهم المالية
وكشاب متعلم تربى على العز والمبذل راي في انحطاط
مالية ايه حطة له في البقاء بين اتوا به الذين اعتادوا ان

يروهُ كثير البذل بقطع أيامه في القهاوي على الملاهي لا يعمل عملاً لأن ابناء الأكابر لا يعلمون. ولهذا اراد ايضاً ان يعني الموال السوري كما غناه مرييه وخدم ايده ابو ريا فقصد اميركا للارتزاق الا ان هذا الشاب في اميركا لم يربا لارتزاقه فقد جاء الى العالم الغريب باخلاقه وعلومه فكان يشتغل مضطراً ويعمل اذا اعوزه الحال ثم يترك العمل حالما يرى انه يستطيع ان يقتات وينام فادى به الحال الى نزوعه الى داء المتهذبين القليلي العمل وهو المقامرة فكان ينام النهار مكتباً على احدى طاولات القهوة ويعمل الليل ما هرا على قلب الورقة فإذا خسر فدين عليه وإذا ربح فربعه عون له على يومين او ثلاثة. وقد قطع سنوات وهو ملازم لهذه الحال يتدرج من سبيء الى اسواء الا انه كان محبوباً من جميع معاشريه للينه واخلاقه الكريمة وحسن معاشرته وكان ايضاً عوناً لزملاه لبي وقوعهم في مشاكل لانه كان ضليعاً من اللغة الانكليزية فكان يترجم لهم في المحاكم ويرافقهم في مشترى الامتعة وال حاجات الى ما شاكل.

اما اهل تعرفي عليه فقد كان صدقة وقد عرفني عليه صديق لكلينا فملت اليه لما انت فى من طلم وتهذيب داخلي بالرغم من موء مظاهره وعكبه على المقامرة وقلة

عمله او عدمه فقد كنت اخب الاجتماع به للمجادلة بامور عدالة فقد رايته ملها بشوؤن كثيرة يستطيع معادله ان يخوض معه بمواضيع علمية وسياسية واقتصادية وغيرها وما كنت اعلم كيف ان ثابا بحالته وعارفه يابي ان يعمل ويترك ميدان النجاح لغيره من دونه مقدرة وتهذيبا فيوثر البقاء على الامه على ان يقتاد لنفسه الراحة من وراء التحصيل والبلوغ الى ما تطبع اليه النفس المذهبة الشابة . ولكنني لما لم اكن اعرفه لم اقو على سواله فكنت اتجاهل حاله لان ذلك لا يعنيني وارافقه في معارفه واخلاقه لان هذه تتصل بمعارفي واخلاقي .

في يوم من الايام كنت وسلينا نشرب القهوة في احدى القهاوي وقد ضماني معه مجلس فكاهة او كما يقولون مجلس «تقرير» وينما نحن نضحك اذا بصاحب القهوة صاعد على السلم وخلفه رجل متقدم في سنه بثياب بسيطة اقرب الى ان تدعى رثة بلا طوق ولا ربطة وفي رجليه حذاء غليظ كالمداس وعلى راسه قبعة كبيرة الدائرة كبيرة الخدوش . وعندما وصل صاحب القهوة الى القهوة اشار للرجل الموصوف اتفا دالا على سليم وقال له : «هذا هو سليم الذي قضيت يومين تصال عنه كل السوريين » وفي تلك الساعة ابرقت اسرة الرجل فابتسم ابتسامة

عرضة واسرع خطاه الى سليم فصافحه وقد قارب لسانه ان
يعد من كثرة فرحة ثم انحنى قليلا نحو يد سليم واراد ان
يلشمها اما سليم فلم يعلم من هو الرجل ولا ماذا يريد ولكنه
اعطاه يده مسايرة ظانا انه غلطان ولما اراد ذلك الرجل ان
يلشم له يده و قد شعر انه في مهمة لشما لان حناته المتباطئ
عليها سحب يده بسرعة واجلسه الى كرسي وساله من العم?
— انا انا الم تعرفني يا معلمي؟ انا ابو ريا مرييك و خادم
ايك انسنت ابا ريا يا معلمي سليم؟

عند هذا التعريف عاد سليم فهز يد الرجل هزا كثيرا
واخذ الاثنان بالكلام فتساءلا و تباوبا وافرغ كل جراب
اخباره للآخر وقد رأيت دمعة تجتمع في عين الشیخ و كادت
تنهد فمسحها بطرف كمه. ولما اراد سليم ان يعرفني على
ضيوفه هززت يده وقلت له اني اعرف شيئا عنه لان سنيما
كثيرا ما كان يذكره امامي.

وعاد سليم الى محادثته فقال له: اي يا ابا ريا لو كنت
اعرف اين مقرك لكنت زرتك حيث كنت خلال هذه
السنوات والآن ما حالك؟

فاجابه قائلا: ان التقادير ارسلتني يا معلمي الى اميركا
فاشتغلت فيها والحمد لله حصلت على النجاح اكثر معا
امتحق وها انا ذاهب الى سوريا لمشاهدة الاولاد والعيال

فلم يبق في سراج حياتي من الزيت الا ما يكفي لايام معدودة
ما قضيها بينهم .

— خبرني كم ريال اخذ معك من اميركا .
— ايه نحمسه على كل حال منحنا اكثرا مما نستحق ومن
فضله وكرمه في جزدانى خمسة عشر الف ريال .
عند هذا اجا به سليم : انت معك خمسة عشر الف ريال
وتاتي لتبوس يدي كان يجب عليك ان تمد يدك من الباب
لدى دخولك حتى انا اتي لاقبها .

وعاد ابو ريا الى الوطن فودعه سليم الى الباخرة وقد
رافقته لاستطلاع شيئا من حالة الاثنين فساعدنا الشيخ بايجاد
 محل له بين ركاب الدرجة الثالثة وبعدما خرجنا من الباخرة
قطعنا اربعة مربعات دون ان يكلم واحدا اخر ثم شق
سليم حجاب السكوت بقوله: الا ترى انا نحن لم نخلق
لهذا العصر ؟
فقلت كيف ؟

فاجاب نحن في عصر قسم الدنيا فيه الى عالمين عالم
قديم وعالم جديد وهذا الجديد ليس لامثالنا بل لمن
يحصلون الدينار من قلب الصخر ويكتنزونه في قلب الصخر
واما ذاك القديم فصار لهؤلاء الناس الذين يعودون الى
اوطنهم بريالاتهم فيبنون المنازل ويشترون الارض ويكون

لهم المجل الرفيع في عيون الناس لما في جيوبهم من
الريالات .

فمن لم نخلق لهنا العصر !



من أول الطريق

من اول الطريق

كان الناس من اقارب فهد الظاهر و معارفه و مواطنه
 يرثون لحاله كلما راوه وياسفون على ما يضيعه من الايام
 سدى ويزرون رؤوسهم اسفين و قائلين من اعماق قلوبهم
 الله يهديه بحسنة ايه المسكين واهله في الوطن!

اولئك كانوا عارفين بحالة عائلته في الوطن فان اباه
 اقعده المرض عن العمل وهو رب عائلة كبيرة فما كاد
 ينهي فهد دروسه الابتدائية حتى استدان له ابوه مبلغا من
 المال فارسله الى لميـرـكا ليكون له عونا على دهره وزوده
 بالنصائح الوالدية والادعية الابوية وقال له: انظر يا ولدي
 حالي فاني بها ليس لي الا الله وانت من نصیر لتحسينها
 ودفع البلاء عن العائلة فاذهب الى اميرـكا بلاد العمل
 وكن رجلا واذكر ان لا امل لي بالفرج الا بك
 ووصل فهد الى اميرـكا وكان بادىء ذي بدء ثابـا
 يتلبـغـ غيرة على ايـهـ المـسـكـينـ ربـ العـائـلـةـ الكـبـيرـةـ وقدـ عـقـدـ
 نـيـتـهـ عـلـىـ انـ يـنـذـلـ كـلـ ماـ اـسـطـاعـ لـيـسـاعـدـ اـبـاـهـ فـيـ حـالـهـ
 شـابـ مـهـذـبـ جـمـيلـ الصـورـةـ لـوـ اـنـهـ لـبـسـ فـسـطـانـاـ وـبـرـنيـطـةـ
 لـلـسـيـدـاتـ وـهـوـ كـمـاـ هـوـ حـلـيقـ الشـارـيـنـ طـوـيلـ الشـعـرـ قـلـيلاـ
 ايـضـ البـشـرـةـ اـحـمـرـ الـوجـنـتـيـنـ كـبـيرـ العـيـنـيـنـ مـسـتـدـيرـ الـوـجـهـ

لقال الناس انه من اجمل الفتيات
 وقد كان المذكور في بادىء امره لا يشغل راسه الا
 الافتخار بحالة اهله والطريقة اللازم اتخاذها لمساعدة ايه
 فاضطر الى الاستخدام وكان يرسل الى اهله ثلث ما يحصل
 الا انه بعد حين اقتصر على ارسال الرابع ثم بعد اشهر على
 اقل من الرابع وبعدئذ ترك عمله كمستخدم في محل تجاري
 لأن نفسه عافت الحصر ومالت الى الاستقلال فاضطر الى
 امتهان البيع بالجزدان وصار يتنقل من بلد الى اخر متوكلا
 على مظهره الخارجي البديع ولفظه الانكليزي الجميل
 وبعض اجتهاده وكان يطمح الى التعرف باكابر العائلات
 الاميركية مترقبا منها الانعام الكبير وقد حصر كل طموحه
 في ان يصير عميلا لبيوت الاغنياء في المصيفات والمستشفيات
 شاب جميل الخلق اذا وقعت عليه عين قالت صاحبتها:
 سبحان من خلق! هذا هو فهد الظاهر. وقد كان ايضا هو
 نفسه ولوعا بجماله فلم يكن ينخر وسعا ولا مala ولا وقتا
 لجعل هياته ملائكة معتقدا من نفسه بان للمظهر الخارجي
 كل التأثير على الناس الاغنياء والاكارب ولهذا لم يكن
 قادر على التوفير فان كل ما كان يربحه من شغله لم يكن
 الا بعض ما تتطلبه نفسه من لباس ومعدات للزينة وبناء
 على هذا انقطع عن مساعدة اهله بعد مدة وصار لا يرسل

الى ايه مبلغا من المال جزئيا الا بعد ان يكون قد جفف
 ابوه المحابر و كتب الى اناس اقرباء يستعنون ولله لينجده
 ولهذا كان الناس الاقرب والمعارف دانما ياسعون على
 ما وصل اليه ذلك الشاب ويطلبون له في قلوبهم الهدایة لعله
 يقلع عن البذخ فيوفر مالا يساعد به اهله المعوزين
 وكان فهد يتالم كثيرا العدم استطاعته مساعدة ايه ولكن
 في الوقت نفسه يشعر بداعف من نفسه للطموح الى الفن
 الفجائي عن طريق جمال الصورة وحسن الہندام وهي حالة
 اليمة لم يكن له منها من تعذيب عاملها الا ان العامل
 الذي غالب منها هو الدافع النفسي فيه للزينة والتبرج .
 وكثيرا ما كان فهد ينفق على لباسه الخارجي كل ما
 معه في حين ان معيشته الداخلية لم تكن موازية للخارجية
 منها فبینا تراه کانجال الامراء محيا ولباسا اذا هو ما کان
 غرفة مفروشة ضيقة تحمل سريره وقدميه فقط وهو واقف
 ويسنا ترى طقمه ظريفا وقيمه حريرا وعقدة رقبته تماثل
 جراباته لونا يكون المسكين بلا «اندروير» او انه بمقتضى
 ما يظهر فيه من حسن الہندام يظن رائيه انه يعيش في احسن
 نزل باسمير كا ولكن في الحقيقة كان غداوه لا يزيد ثمنه
 على ثلاثين سنتا . وهي حالة كانت تعذب فوهاد فهد وتضنيه
 وتحمله على المراقبة في عمله ولكنه لم يصل الى مرماه

وذلك انه تمكَن في السنوات الاولى من ان يملا
 صفحات كتابه اليومي من عنوانين احسن العائلات الفنية
 وقد كان مرضيا عنه ومقربا منها محبوبا من افرادها ولا سيما
 السيدات اللواتي احببن منه جمال الخلق فكن يشترين من
 بضائعه ويعطينه رسائل توصية الى صديقاتهن في البلاد الاجنبية
 واتهى الامر بان فهذا تزوج وقد تناولت صحافة البلاد
 امر زواجه الغريب فانه وهو شاب على ما وصف به اتفا قد
 اختار لنفسه عروسا متقدمة في سنه تزيده عمرها لا اقل من
 ثلاثين سنة اي ان اصغر ابنته يزيده بضع سنوات وهي من
 عائلة معروفة في اميركا وارملة احد مشاهير الماليين . وقد
 عقب هذا الزواج الغريب قيام عائلتها عليها وعلى زوجها
 فاوصلوا الامر الى المحاكم مدعين عليها بانها خرقه ولكنهم
 فشلوا بحملاتهم عليها وبقيت زوجة فهد ومارت بحق الشريعة
 مسرضاً امراة الشاب السوري الظريف فهد الظاهر
 اما السوريون فقد تناولت السنتهم تلك الحادثة متعجبين
 وقد ذهبوا مذاهب شتى بتفسيرها وتجييزها وانتقادها الا
 انهم بعد ايام قد ازاحوها من رؤوسهم ولم يعد فهد الظاهر
 وزوجته يملان ادمعتهم ومار المذكور عندهم معدودا من
 الاغنياء لأن ثروة زوجته تبلغ الملايين
 ولا مراء بان فهذا قد ضحى شيئا من نفسه ليخلص نفسه

من عاملها المعدين عامل الطموح الى المعيشة المرفهة
وعامل البنوة وما عليها من الواجبات لدى اب مريض
مسكين كل امله في الحياة نجاح ولده الاكبر فهد الظاهر
اما فهد الظاهر اليوم فهو مطلق لا زوجة له ولا ثروة
كبيرة وذلك انه بعدها صرف ستين مع زوجته المتقدمة في
السن لم يعد في قوس صبره منزع فثار على شريكه حياته
وساعدته بثورته هذه بعض انسائهما واحد ابناهما فرضوه بعض
المال ليتخلص من زوجته الشرعية وبعد مراقبات اتهى الامر
بطلاقه منها ام بطلاقها منه

وقد بلغني ما اتهى اليه امر فهد المذكور فعجبت لانسحابه
من نصف الطريق بالرغم من انه استعد لان يعبره كله وقد
احببت الوقوف على تفاصيل المسالة لا لاعرف ميله في
بروجه من تلك السيدة الغنية بل لافهم لماذا لم يبق زوجها
حتى تموت ويرث بعدها ملابسها

اجتمعت به فجادلته الحديث عما جرى له فقال لي انه
اضطر بالزواج لانه قال في نفسه ان تلك السيدة قاطعة
السبعين من عمرها فمهما يطل عمرها لا يقطع الثمانين ان
لم يكن اقل ولكنه اخيراً تيقن ان زوجته في الحقيقة اصغر
عمراً مما ظن فانها لم تقطع الستين ولهذا قال في نفسه
من اول الطريق ولا لاخرها

مِثَالُ الْحُرْبَةِ

تمثال الحرية

ما كاد ابوا نخله المعصوب يفرحان به اي يزوجاته
 بنت حلال كما يقولون الا ودخل في عقله ضرورة النهاية
 الى امير كا لبناء المستقبل وبالرغم من بكاء ابويه والطحنه
 عليه بالبقاء ودع الاهل والخلان وسار بعروسه فاصدا بلاد
 امير كا كعبه المرت zincin

اما عرومه فكانت فتاة اصغر منه بعشر سنين وهو في
 الثامنة والعشرين وقد كان في بدء عهده بالزواج اميرا في
 بيته اذ انزل في قلب امراته الرهبة فصارت تعتبره ميدا اكتر
 من زوج وتداب على نيل رضاه بكل ما يتطلب وكان هو
 يحبها كثيرا ولكنه كرجل ظل محافظا على مقامه كيد
 للبيت وراس للمرأة له المقام الاول وله الامر وما عليها
 الا ان ترضيه وتتبع اوامره

ولقد فكر طويلا بادى الامر بان يقصد امير كا وحله ثم
 يستقدم اليه امراته الا انه لم يقو على مفارقتها لانه شعر
 بحبها وبالحاجة الى ملازمته ايها ولهذا اخذها معه موار
 الى بيروت ومنها الى مرسيليا فنيويورك فالداخلية واستقر
 في قرية كبيرة من فرى ولاية اوهايو
 في السنة الاولى لوموله ذاق نخله المعصوب احوالا

بتحصيل معاشه فانه لم يحصل على شغل يدر عليه نفقات العائلة الا بعد الجهد وقد تراكمت الديون عليه من انسابه وخلانهولكنه عمل اخيرا انما عملا يكاد لا يفي بالمطلوب وبقى هذا حاله ثلاث سنوات تارة يبيع السلع واخرى يشتغل في المصانع بالاجرة وهو لا يزال كما كان اكلاما شاربا مع امراته وانما الديون للناس تضيق عليه الخناق واصحابها ولشن كانوا من اخائه ولكنهم لم يسعفوه بها لتظل في ذمته الى الابد ولهذا حاروا اذا اجتمعوا به يشيرون عنها فيفهم منهم المقصود ويعللهم بمواعيد حتى نفت حيله وجاءه نسيب له من الثاجحين في البلد ذو مخزن كبير

يباع منه البضائع الرائجة اللازمة لباعة الجزدان فقال له «يظهر ان احوالك لن تصطلح فانك بعد الجهد تستطيع ان تقوم باود البيت فلماذا لا تعمل حركة لتفي ديونك وتخلص ذمتك من الدائنين وتتوفر لك كم ريال»

فاجابه نخله متنهدا من قلب محروق وقال له

— وما هي الحركة لاحصل اكثر مما احصله؟

الحركة هي ان تبقى انت في الفبركة وتدهب الاستادما للشغل بالبيع وانا املأ لها جزданا كبيرا وادربيا على العمل فتساعدك على الحال واوء كد لك انه لا يمضي عليك ما منتهى تنتقضان من الديون التي عليك ويكون لك مبلغ

في بنك التوفير

اما نخله فقد مانع كل الممانعة وكادت دموعه تنزل من عينيه لاضطراره الى عمل امراته ولكنها اقتتنع من نسيبه اذ يين له هذا ان المسالة بسيطة جدا وقد تصعب على الذين يقدمون الى اميركا حديثا لا سيما اذا كانوا من العيال المعتبرة في البلاد اما هنا في اميركا فالنساء انجح شغلا من الرجال والمرأة تسبق الرجل في العمل

وقبل من نسيبه هذا الاقتراح ولم يمض على الست ادما نصف سنة حتى صارت من الباائعات الناجحات تماما بالطبع بعد شقاء العلم والتدريب على اساليب البيع واحتياط اللغا الانكليزية من السن الناطقين بها

بعد ست سنوات نقلت عائلة نخله من اوهايو الى مدينة نيويورك لأنها كبرت فقد رزق الله نخله ثلاثة اطفال وظلت امراته تقصد ابواب الرزق يينا هو كان يعتني بالأطفال في غيا بامهم وقد ترك العمل واصبحت الحياة كلها عنده وعند عائلته معلقة بجزدان «الست»

بعد هذه المرحلة لم يعد نخله اميرا في بيته بل صار اجيرا لامراته واطفاله وصارت هي راس العائلة وقد تدرجت من حالة الى اخرى حتى صارت الامرة الناهية وزوجها «لبيك عبنك يين يديك» لا يجسر على الاعتراض ولا يستطيع ان

يفوه بكلمة اتقاد او اقتراح الا الاستحسان والامتنان
 وظل نخله يبلع الهموم ويهضمها حتى تعطلت معدة احتماله
 ففي ذات مساء عادت السيدة ادما من شغلها الى المست فما
 وجدت نخله ورات الاولاد بكون ويشقون وبعد ان دبرت
 حالمهم بالتي هي احسن نزلت تفتش عن زوجها وفي قلبها
 نار الغيظ تضطرم فعثرت عليه جالسا على مقعد في حديقة
 الباتري وهو غائب عن هذه الدنيا بافكاره يقابل بين
 حالته في بلاده حيث كان اميرا وحالته في مهجره حيث صار
 اجيرا فانهالت عليه ادما بالسباب والتغييرات وقادته الى البيت
 واحضرته انه اذا اعادها مرة ثانية تطرده من البيت وتستخدم
 احدا يعني باطفالها في غيابها باقل مما تنفقه هي على ما كله
 ودخانه . فاجابها وقد فرغ اناه صبره : تطرداني من البيت
 او لست انا رجل البيت وابا الاطفال وزوجك ؟ فقالت : انت
 رجل البيت وابو الاطفال وزوجي في بلادك واما في امير كا
 فانا كل شيء فما زال تمثال الحرية رافعا يده وهو تمثال
 امراة فانا لي الحق ان ارفع يدي في يبني وامر وانهي اعجبك
 هذا كان به والا فاختر لنفسك ما يحلو
 عندئذ تذكر نخله تمثال الحرية فعرف ما معنى يده
 المرفوعة وفي قبضته ضوء وقد كان في حديقة الباتري
 حيث التجأ يشغل فكره اولا بما معنى رفع يد ذلك التمثال

ثم استرسل الى افتخاره بحياته الماضية وما حل على راسه
 في امير کا فاجاب امراته اذ ذاك بصوت خافت وقال اذا
 كان ذلك التمثال رافعا يده فانا ارفع يدي الاثنين من كل
 امر ولكن عندما نعود الى بلادنا سارجع باذن الله رجلا
 ولبي حق الرجال



من الدب الى الجب

من الدب الى الجب

كنت اسمع ان ام طنوس راغبة في العودة الى الوطن ولكنها مضى عليها نحو سنة ولم تترجع من مكانها فسالت عنها احد اقربائها لماذا لم تسفر ام طنوس بعد ان اكملت لي انها ذاهبة لترى زوجها واولادها بعدها مضى عليها اكثر من عشر سنين . فأخبرني ذلك الرجل ان المسالة قصة طويلة عريضة وانه اذا اراد ان يخبرني بها لا يصل الى اخرها حتى ينشق من الصحف

فقلت له لقد زدتني رغبة في الوقوف على حقيقتها فأخبرنيها قال - تعلم ان ام طنوس جمعت اموالاً كثيرة بالاجتهد والكثير والاقتصاد العجيب وقد كانت تشغل مصاريبها في محل تجاري سوري صاحبه من نفس القرية التي هي منها وكان يضيف الى ما لها عليه كل سنة فائضاً عشرة بالمائة وظلت هكذا كلما توفر لديها خمسون او مئة ريال ترسلها الى ذلك المحل لتقلب دراهمها بالفائض حتى انقلبت دراهمها انقلاباً وصل الى الهاوية اذ افلس المحل وذهبت البيضة مع التشيرة فلم يبق لام طنوس الا العافية الطيبة والهمة مع الانتقام من ذلك التاجر الذي أكل مالها وصارت ام طنوس لا تومن بعد ذلك الحادث بأحد من الناس حتى اذا قيل لها ان فلاناً تبلغ ثروته الملايين ولا باس ان تخزن

ماليتها عنده لتربع الفوائض تجib بان العب احسن بنك
وانه اذا ضاعت الامانات فاجعل مخزنك عبك .

وصاوت ام طنوس منذ سنوات نعمل باجتهدادها الكبير
لتعوض عما مضى من الخسائر تمشي من بلد الى اخر وعلى
ظهرها كثة وفي يدها بقحة فتحمل حرارة الشمس الثقيلة
بصبر كلي وكلما توفر لديها بعض الريالات من عملة الورق
بسعر عشرة فما فوق تكونها في داخل صندورها فقط لم يخطر
ببالها ان تعد ما صار معها من المال لثلاثة تطير البر كتو كانت
ريالاتها الملاصقة بلحمة ترافقها بالاسفار وتبقى معها في
الفراش حال النمام ولم يكن من لحظة واحدة فارقت بها ام
طنوس صرفة رياالتها

وجاء الوقت الذي علم الناس به ان ام طنوس عازمة
على العودة الى الوطن فباعت بضايئها وصندوقيها وسريرها
الخشبي وهيات حالها للسفر فقدمت الى نيويورك لتشتري
جوازا للسفر وتغير العملة الاميركية التي معها الى ليتر
واسمح لي ان اختصر ما يمكن اختصاره فان المسالة
شروا طويلا ولكنني اكتفي بالجوهر فاقول ان ام طنوس
على ما يظهر لم تبعد الريالات عن جسمها ولم تخرجها لحظة
كل تلك السنوات لعلها تشم الهواء قليلا وتحافظ على
صحتها لانه كما لا يخفى عليك الريالات مادة يطرأ عليها

الهراء والتعفن زد على انها مع حضرة ام طنوس كانت
 تبلغ كمية وافرة من الغرق الذي افرزته حضرتها في خلال
 اتعابها ومثاقها وما اكثر ما افرزته من العرق
 وهكذا هار فان ام طنوس عندما ارادت لاول مرة ان
 تخرج في نيويورك ما خباته في عبها هلع قلبها ورسمت الصليب
 ثلاثة ثم توكلت على الله وسجنت تلك الضمة فاحست في
 البدء ان جسمها قد برد كما يشعر الانسان اذا خلع عنه
 قميص الصوف ثم وضعت الضمة امامها ويدها ترتجف
 هنا شرع المخبر يضحك وصرت لا تستطيع ان افهم
 منه النتيجة ولم يكن يمالك نفسه عن الضحك لكي يفهمني
 ماذا كان الى ان شبعت نفسه ضحكا فتابع حديثه وقال -
 ولكن تلك المسكينة لم تستطع ان تستخلص الا ورقتين
 بعشة ريالات من كل تلك الضمة لان الباقي كان كأنه
 كتلة ورق مطبوخة على النار وعيثا حاولت ان تسترجع ما
 فقدته هذه المرة لانها كانت كلما شكت امرها الى احد
 الناس يضحك طويلا عليها ويخبرها ان تستعيض الله
 وهكذا عادت ام طنوس الى الداخلية لتعبيء بعض المال
 بعد ما ذهب عناوئها ادراج الرياح ولا اعلم كيف تخزن
 ريالاتها هذه المرة ولعلها تركب الكار اذا ارادت ان تقتل
 من بلد الى اخر محافظة على صحة الولايات

كما صرنا تصيرونا

كما صرنا تصيرونا

لفارس الدوار تاريخ تجاري مملوء بالحوادث فقد افلس اكثر من مرة واحرق محله مرات ونكن السورين لا يذكرون عليه شيئا من كل ما تاتى عليه لانه لم يوءذ بفالساته ولا باحراقاته احدا من السورين فكل الخسائر التي سببها كانت تقع على المتعاملين معه من امير كان واجانب . ولهذا لم تجر عليه حوادثه حطا بكرامته بين مواطنين بل بالعكس لا يزال البعض يرمونه بالاعتبار وينظرون اليه كرجل فارس تجاري خاض معا مع التجارة فداس الصعوبات بسبابك ذكائه . نعم وان الكثرين لا يزالون يصفونه بالذكي والرجل الذي يعرف كيف يأكل الكتف . وكل هذا لانه لم يوءذ احدهم بل كان يدفع ما عليه للمواطنين في الحال اما اذا كان يأكل الديون الطائلة على الاجانب فمن يهمه الامر ؟

ومن الحوادث التي جرت لفارس الدوار انه اذ كان قدما الى محله باكرا على غير عادة منه نقى به احد المواطنين الساكدين في الحي القريب من المحل وللحال مال اليه ذلك المواطن بلهفة وقال له انه عند الساعة التاسعة من مساء اليوم السابق اذ كان مارا امام محله لاحظ النار تضطرم

في المحل وللحال استدعي رجال المطافئ، فاطفاً وَا الناز
وقتلوا الحريق في مهده فلم تمس البضائع باذى وظل
المحل سالما لصاحبه. قال هذاؤقد ظن انه سينال مكافأة
حسنة على فعله ان لم تكن بالهدية فالكلام في الاقل الا ان
فارس الدوار لدى سماعه ذلك الخبر اخذ العرف يتصرف منه
كما القرب وقد شعر انه نقص وزنا لا اقل من خمسة
بوندات ولما اجاب ذلك المواطن على خبره قال له:-
«ويحك لقد خربت بيتي» ثم اتبع كلامه بضررية على
جيشه وكاد يقع كمن خارت قواه. اما المخبر فقد لاحظ
انه لم يأت عملا يرضي فارس فمال عنه كاسف البال
كالصياد المستعين بالناس ليسحبوا معه شبكته الثقيلة ولما
يلقيها على الشط يرى حجرا فيها بدلا من السمك
وقد كان دائمًا يقول في مجتمعاته مع مواطنيه السوريين
ان السوري مقتول نجا له لأن يرجي النجاح من معاملاته مع
السوري وان المعاملة مع الامير كان افيد وأغزر نجاحا .
قضى فارس الدوار سنواته الاولى في عالم التجارة
يأمل الربح من الشركات الكبيرة بضمانة المحل من
الحرائق الا انه في المرة الثالثة لم «يطابق حساب القراء
على حساب السرايا» فإنه كاد يخسر كل ماله وحياته
اذ انفق الوفريات على المداععه وآخرًا انسحب بوساطه

فإنما نفسه اذ كاد ينجز في السجن ولو لا لطف الله تعالى
لوقع بشر اعماله . ولهذا مال بعد تلك السنين الى اكتساب
الربح من وراء الافلامات والتسويات .

وفي هذه السنوات كان المحل الذي انشأه مسجلا
باسم ابنته الصغيرة والمنزل باسم الام احتراما من مقدور
يحل به وما اكثرا ما كان يخبوه القدر لفارس الدوار في
حياته التجارية !

ومن حكايات افلاماته انه في السنة الاخيرة لشغله
كان محله اشبه بالمصرف فقد خلا من كل بضاعة ولم
يبق فيه الا الدفاتر وكان هو مع الكاتب المستخدم
يصرفون ساعات النهار بالتقيد والامضاء والذهاب الى
البنوك وكسب تواقيع العيران والاولاد والبنات واسمه
كثيرة لا اصل لوجود ارباب لها لكي تحسم ستداته في
المصارف

وفي تلك السنة ظهر لفارس الدوار اعلان في احدى
الجرائد العربية ان محله حاضر لقبول الامانات المالية التي
يدفع عليها فوائد جيدة ويظهر انه «كبر البلعة» لصاحب
تلك الجريدة فعقد له فصلا في باب التحرير جاء فيه ان
الثقة بمحل فارس الدوار كبيرة وان المواطنين يقبلون
زرافات ووحدانا الى محله ليستودعوه اموالهم الى ما هنالك

من الكتابات الماجورة.

وقد انتهى امر المذكور بانه فلس اخر مرة واخذ بجريدة التزوير في اليوم التالي لصدور ذلك العدد من الجريدة وقد خرج تحت كفالة مالية بمساعدة امراته وانفق على دعاوته في هذا الشأن الوفا من الريالات وهو اليوم يشتغل سمساراً يشتري لتجار الداخلية بمقابل معلوم من المشتري والبائع

كل بسر الثاني

اما الجدير ذكرها بقصة فارس الدوار فهو انه كان يعزو نجاحه في سنوات الحريق الى تعامله مع الاجانب فلما كان ما كان معه في سنوات الافلاس والتسويات صار اثبت برهاناً على مبداه الاول وهو ان معاملة السوريين تورد المرء حتفه التجاري فكثيراً ما يتنهى امام الناس ويقول انه لو بقي على معاملاته مع الاجانب لكان اليوم من ارباب الملايين الا انه لسوء حظه مال الى معاملة المواطنين فصار ما صار على راسه وخراب بيته ثم انه لليوم يندب سوء طالعه بارتكابه تلك الغلطة اذ مال الى مواطنيه فمعاملهم وخربت تجارته حتى انه لا يستحيي ان يصرخ بالذين يطالبونه بالامانات وقد وعدهم في بادئ الامر بالوفاء انهم كانوا سبب خرابه فلولاهم لظل تاجراً كبيراً ولكنكه خسر من جراء رغبته في نفعهم مالاً تعوضه السنون الكثيرة.

هذا ما حديث له باختصار ولكنني مورد المغزى من حياة
 هذا الرجل وهو انه يوما اذ كنت موجودا في احد المنازل
 زائرا وكان حضرته من جملة الحاضرين اطلعوا احدهم على
 ما جاء في عدد ذلك اليوم من احدى الجرائد وفيه مقدمة
 طويلة عن نجاح المحل التجاري المعروف باسم «حمصوني
 وشركاه» وبها يلفت المحرر انظار القراء لمطالعة اعلانهم
 في الصفحة الثالثة . فما كان من فارس الدوار الا انه ضحك
 وهز راسه كثيرا وقال —
 كما كنا كذا انتم كما صرنا تصيرونا



الثقة في البشر

الثقة في البشر

في سنة ١٨٩٠ وصل الى الولايات المتحدة ثاب في الثلاثين من عمره يدعى مصطفى الشاهين وقد كان ذا مطامح تجارية كبيرة الا انه كان خاليا من الاموال التي توصله الى مراميه ولهذا اضطر ان يتاجر وانما متاجرة بسيطة فكان يجعل القرى والمزارع حاملا صندوقه الخشبي يبيع الفلاحين دبais وامشاطا وسلعا صغيرة وظل خمس سنوات يعمل ويجد حتى توفر لديه زهاء الفي ريال في الكمر الذي اتى به من البلاد وكان يتمتنق به تحت القميس في الاول خوفا على ما فيه من المال ولما استأنس ولم يعد يخاف اللصوص لم يستطع ان يغير عادته فقد جرب يوما ان ينزع عنه الكمر ولكنه عاد اليه في اليوم التالي لأن النزلة الصدرية مدت اليه يده لتصافحه ولكنه لم يسد اليها يده ولهذا اضطر ان يعود الى سابق عادته

ورجل كمصطفى الشاهين لا يشغل عقله ووجوداته الا ان يكبر في عالم المالية ويصير على حسابه محل كبير يومه الباعة في quam منهم الارباح وهو جالس على كرسيه كالامر الناهي لا سيما وانه اكتسب بعض الخبرة في

جلب البضائع ومعرفة الفتح من السمين منها يرى ان
الانفي ريال التي ذخرها خير راسمال للتجارة
ولكن اين الزبائن؟

هنا سال نفسه هذا السؤال واعمل فكرته في الجواب

عليه

ان المحل الذي يطمح الى انشائه لا يمكن ان يكون
في نيويورك لأن الرجل عارف نفسه انه غير كفوء للتجارة
في بلد عظيم بين تجار عظام . وهو لا يفلح اذا انشأ ايضا
في قرية من القرى التي قضى سنوات هجرته متوجولا فيها
لان القرية الواحدة لا تكفي لنجاح المحل لقلة سكانها
في حين انه لا يستطيع ان يحمل المحل على ظهره كما
كان يفعل بالكثة فيجرب حظه في هذه القرية وتلك
ولكن المطامح في الناس تفتح بصائرهم مهما تكون
كميات ادمعتهم بعد ان افتكر المذكور طويلا توصل
الى راي اصيل وفي الحال صفى شغله وباع كشته كلها
وابقى من خرضاوتها اشياء تستعمل في الوطن كالامساط
والقنانى الطيبة والخواتم والحللى الزائفة وما شاكل برسم
هدايا لنوبته في الضياعة وبعد ايام ركب البحر عائدا الى
اهنه بما بقي معه من المال متوكلا على الله
ووصل مصطفى الى ضياعه فخف كل سكانها من

العجائز والشيخوخ الى الاطفال بالتمائم للسلام على العائد
 الغني . ولا تسل كم كان معظم ذهول القوم من الثروة
 التي عاد بها الى اهله فان اصابعه العشرة التي كانت ملبسة
 بالخواتم والدبوس الكبير في ربطة والازرار الصفراء
 في كمي قميصه والهدايا التي اتى بها الى امراته وشقيقاته
 وكلها من الجواهر وما اهداه من الاجواخ والسلع الصغيرة
 الى اقربائه وجيرانه . كل هذه كانت تنطق لهم بصوت
 عريض ان مصطفى الشاهين حار لا يشق له غبار . وصار
 الشيخ يندبون سوء حظوظهم لان الشباب مضى قبل ان
 يعرفوا بامير كا وصار الشبان يتقربون اليه ليدرسوه عليه
 احوال امير كا وكيفية السفر اليها وكم تكلف السفرة الى
 ما هنالك . الا ان مصطفى القادر بهمة تجارية لقريته راي
 في انشغال القوم به سبلا الى الوصول لغرضه فما مضى
 اسبوع واحد على وصول ابن الضيعة اليها من امير كا حتى
 ودت بما فيها من تراب ان تسير معه الى امير كا وهكذا
 بعد منتهى شهر عاد مصطفى الى امير كا قائدا لجيش يبلغ
 عشرة شبان وعلى نفقة ليفتح تجارة امير كا ويصل الى
 مرماه الذي طالما فكر به وتمنى الوصول اليه
 على الطريق الطويل عانى مصطفى بعض العنااء بحملته
 التجارية ولكنه بالرغم من ذلك العنااء الكبير كان يسر

بداخله اذ يرى حوله رجالا سينبئ عليهم مستقبله المجيد
وهم يرون فيه القائد البطل الذي سيصل بهم الى عالم
المجد والعز

ولم يقتصر عناؤه بهم على جلبهم فانه عندما وصل
بهم الى القرية التي صمم ان يبني محله فيها كاد يتمزق
في تدريبهم على حمل الكشات وتعليمهم بعض العبارات
الضرورية باللغة الانجليزية قدر ما هو نفسه يعرف من
اللغة التي اختطف لفظها خطا وصار يفك حاله بها كما
يقول

وهو نها الله على مصطفى فال محل الذي فكر به انشئ
وجعل ذا قسمين قسم داخلي ينام ويطبخ ويأكل ويستقبل
ضيوفه فيه وقسم خارجي فيه رفوف عليها السلع والعلب
وفي ارضه قواصم خشبية عليها مساطر البضائع

السنة الاولى مضت على التأسيس وتدريب الجيش
للغزو وفي السنة الثانية استغل مصطفى شيئا يذكر من
الارباح فأرسل منها كمية الى قريته لجلب امراته الى
اميركا . وفي السنة الثالثة ابتدأ يشاحن جيشه الذي صار
اعضاووه العشرة يشارعونه على الاسعار لأنهم صاروا على
شيء من الخبرة في السوق وتوسعت مداركهم بفضل
التنقل من بلد الى اخر فصاروا يمليون الى التمرد عليه

ويتأمرون بين بعضهم البعض على مقاطعته لولا انه كان يستعمل الحيل في اقناعهم فصار يلطفهم ويدعوهم يوم الاحد الى مائته ويكسب قلوبهم عن طريق المجاملة والنسبة

مضت هذه السنوات واشغال المحل تزداد وارباحه تتضاعف ولكن صاحبه كان يلعن حظه لأن الامور لم تأت على حسابه فان الامر والنهاي لم يعودا من وظائفه على فئة الزبائن الجلب

عرفته في تلك السنوات وقد كنت ازور تلك القرية احيانا فاميل الى محله لا ساله عن حاله واحادثه قليلا بينما اكون اترقب مجيء القطار

الا انني لغيرات تجارية اذ تركت المحل الذي كنت امته ولصقت بغيره لجهة اخرى من البلاد لم اعد اسمع شيئا عن مصطفى الشاهين ولكنني كنت اصوره في عقلي فاقول قد مضى علي خمس سنوات لم اره فيها فيجب ان يكون اليوم شيخ البلد لأن شغله ماش وزبائنه من عظام الرقبة ونفقاته في السنة من ارباح شهر

في عام ١٩٠٦ طرحتني الاسفار الى تلك القرية صدفة ولما وصلتها سرت في الحال لمباشرة ذلك الرجل الذي تعرفت عليه لمجرد انه يتكلم اللغة التي اتكلمتها وهي لغة

كلينا وشد ما كان دهشى عندما رأيت صاحبى فى غير
المحل الذى كان له . رأيته عند باب يت حقير قرب
 محله الاول وحوله اولاد المدرسة من صبيان وبنات يبيعهم
 «ايس كريم» على «كون» بنت كل واحدة . ولما
 سمعت جرس المدرسة يدق ترك الاولاد احاطتهم بمصطفى
 راكضين الى المدرسة فتقدمت اليه وسلمت عليه فسر
 كثيرا لمشاهدتي بعد غياب طويل تضمن حوداث كثيرة
 وقعت على ذلك المسكين

ثم رأيته قد احتمل القدر الذى كان يبيع منه داعيا
 اي اي ان ادخل معه الى المنزل لأن وقت الشغل قد مضى
 فدخلت لا عرف شيئاً عما خفي علي من حاله
 وسالته كيف احوالك يا مصطفى يظهر ان الامور تغيرت
 معك

فاجابني بتنهى عميق ولم يشا ان يتلفظ ولكنه قادنى
 الى غرفة صغيرة حيال الغرفة التي كنا فيها وقال لي انظر تأمل
 رأيت على الحيطان عشرة رسوم لعشرة اشخاص
 وتحت كل رسم اسمه فاقتربت من كل الرسوم لاقرأ
 الاسماء فإذا بها هكذا - ابو الالف . ابو الخامس مئة .
 ابو الست مئة وهكذا قرات ارقاماً لاسماء تسعه من ذوي
 الرسوم اما العاشر فتحته كتب هذا الاسم - ابو حواء .

فقلت والضحك كاد يغلبني ولكن مادا تعني بهذه
الارقام فاجابني كل رسم دعوته بالكمية التي نصب علي
بها ورحل الى جهة لا اعلمها . قلت ومن هو هذا ابو حواء
فاجاب هو الذي خطف المرأة في الآخر بعد ما تواطات
معه على سرقة المحل الذي اقفلته الحكومة واشهرت
افلاسي

قلت فاذن انت خسرت كل شيء يا مصطفى؟ فاجابني
نعم خسرت كل شيء واكثر من ذلك خسرت شيئا لا
تراءه انت . فقلت وما هو؟ اجاب وقد كدت ابكي لحاله—
ثقتني في الجبلة البشرية!



مدينة الامير كان

مدنية الامير كان

لما غادر ابو راجي فلفل سوريا فايند اميركا وطن النفس
 على ان لا يعود اليها فباع كل ما كان له من عقار واثاث
 وحمل عائلته المولفة من ام راجي وولدين الى بلاد الناس .
 وببلاد الناس عند امثال ابي راجي هي اميركا فان
 سوريا ليست ببلاد الناس عندهم لأن اميركا ذات الحرية
 والغنى واما بلادهم بلاد النمل والخمول .

وهكذا كان فابو راجي ودع البلاد الى بلاد الناس
 غير اسف على هجره الوطن معللا نفسه بالامال وطالبا
 الوصول الى اميركا ليندمج بين شعبها المتمدن اما شعب
 سوريا فلم يكن بنظر ابي راجي الا كما ذكرنا ذليلا خاملا
 فلا الوطن ولا آله ولا تاريخه او تاريخهم مما يملك ولو
 ذرة من اعتباره وجبه .

ولكته ما كاد يصل الى نيويورك ويقطع شهرا واحدا حتى
 انقلبت الاية معه فصارت اميركا عنده عبدا اسود ومدينتها
 في نظره دون مقام البربرية الافريقية وشعبها اقل شعوب
 الارض ذوقا وذكاء .

والسبب في ذلك انه لم ير في نيويورك ما راق لخاطره
 وما انطبق على ذوقه وعاداته او وافق ما تصوره قبل باميركا

فانه سكن لدى وصوله يتنا لا تدخله الشمس مرة في السنة
وصدق انه في الشهر الاول لوصوله الى نيويورك كان الطقس
وديئا جدا فلم تقطع خيوط المطر يوما واحدا ولهذا انقبضت
فمه وصار بغضه لاميركا يزداد سريعا يوما عن يوم وقد
ادمى اصحابه ندما ولكن لات حين ندامة.

كل شيء راه في اميركا لم يعجبه حتى اقاربها لم يستأنس
بقربيهم فكان كلما تطلع الى احدهم وراه حليق الشاريين
ينفر عن محادثه ويافن من النظر في وجهه . واذا بالصدفة
يدرت من احدهم كلمة انكليزية كان ابو راجي يهينه ويفلظ
له بالكلام ظنا منه ان ذلك المخطيء ازاد الهزء به لانه لا
يعرف حرف من اللغة الانكليزية .

وقد حدث لابي راجي شؤون كثيرة ادت الى كرهه
الكثير لاميركا وصارت بلاده عنده ائذ بلاد الناس واما
بلاد اميركا فليست سوى بلاد البقر .

ومن تلك الحوادث انه كان يوما مادا باسطه على رصيف
ملم الحريق في بيته وهو جالس الاربعاء وفي فيه نريج
الاركيلة يشرق دخانها وينفعه بينما كانت افكاره سائحة
في الفضاء لا تستقر بمكان وفيما هو على هذه الحال اذا
 بصوت من الشباك الذي دخل منه الى الرصيف فانقطع في
الحال عن افكاره وتطلع الى الشباك فرى بوليسا رافعا

عصا يتهده بالضرب فهب ل ساعته وحمل اركيله ودخل بها الى بيته فامسك به البوليس و هذه هزات متابعة طيرت راس الاركيله الى الارض وهو لا يفهم من كلام البوليس كلمة وقد ظن بادىء بدء ان البوليس غلطان به فهو لم يات امرا فريا ولكن لا حيلة له لاقناع البوليس ببراءته لجهله اللغة . عندئذ دخل عليهما بعض السوريين فافهموا البوليس ان ابا راجي رجل بسيط مسكون وقد جاء حدثا من البلاد وهو يجعل نظام المعيشة فخرج البوليس بعد ان لان قلبه على ابي راجي وتركه وشأنه . اما ابو راجي فاخذته الحيرة كل ماخذ وبعد ما خرج البوليس انهال عليه بالسبات والتجديفات متغيرا بما صار اليه غير عارف بذنبه الا ان السوريين الذين تبعوا البوليس اخبروه ان جمرة الاركيله سقطت من بين قضبان الحديد على راس البوليس .

ثم ان ابا راجي ذهب يوما الى «كاسل غاردن» الحديقة عند البحر القريبة من شارع واشنطن وقد حمل معه غذاء فدخل الى الحديقة ماشيا على الكلاء حتى وصل الى شجرة فجلس تحتها ياكل غذاءه و اذا بالحارس قد جاء نحوه مهرولا و اخرجه من الحديقة بالدفع واللبط وبقي طعام المسكون هناك فاضطر ان يعود الى بيته ليأكل ولكنه كان اكله مخلوطا باسم الموت لان التاثير بلغ مبلغا عظيما في نفسه .

ومرة اخذه بعض الجيران يوم احد الى حديقة برونكس ليتفرجوا على الحيوانات وقد اعجبه منظرها ودهش لجمال البنايات التي جعلت منازل الحيونات القذرة مع انه وهو من بني ادم يسكن ييتا دون منزل الخنزير في تلك الحديقة ولكن الحظ لم يكتمل معه فانه بينما كان يتأمل بمنظر الفيل وخرطومه وقد دهش لهما رمى الى الفيل بقطعة خبز كانت في جيده فراه الحراس فقبض عليه ولم ينته الامر حتى دفع رفاته عنه الجزاء النقي ولا تسل عما خرج من فم ايي راجي بعد ذلك.

وفي الاحد التالي لهذه الحادثة اخروا ابو راجي الى المتحف حيث تعرض للأشياء الثمينة والرسوم الفنية فكانهم اخذوه ليتفرج على فخامة البناء والجينة المحيطة بالبنايات اما ما حوتة تلك البنايات من الاثار فلم يرق لخاطره ولا عجب فانه لا يعلم شيئا عن الفنون ولما اخبره احد رفاته ان ثمن صورة من الصور المعلقة للفrage قد يبلغ عشرات الوف الريالات هز ابو راجي راسه واقسم ايما نا مغلظة انه لا يشتريها بخمسة سنت و قد ضحك على عقول الامير كان ورماهم بالسخافة و غيرهم بالبلادة و خفة العقل . وكان اصحابه اعجبهم نظره الى الامور التي لا يحدها عقله فارادوا مداعبته فصاروا يناظرونه بالامر وبالغون باهية الرسوم

وهو يكيل لقبة مدار لكالامير كان الذين «ينفقون» لتوافقه الاشياء وفيما هو يهزا ويسمع ويجيب في وقت واحد كانت يمناه قد دخلت الى جيده فاخترت علبة التبغ ودون ان يلاحظ بفكرة ما تفعله يداه لف سيكاره ووضعها بعيه ودخلت يسراه الى العجيب الثاني فاخترت عود كبريت وهو لا يزال في حديثه مع اصحابه هم يشدون عليه وهو يضحك على الامير كان ودون ان يلاحظ احدهم ما هم ان يفعل ابو راجي لأنهم انبسطوا بحديثه المفكه كانت يمناه قد اخذت من شقيقتها عود الكبريت وامتدت الى الحائط المدهون بالدهان الفني البديع فاضافت الى تفنن الرسامين بالدهان خطأ احمر في منتصف الحائط يبلغ طوله الذراعين وما كاد يشعل ابو راجي سيكارته من ذلك العود حتى ثاب اصحابه الى رشدهم فراوا ما كان منه فسجبوه في الحال وقلوبهم هالعة الى الخارج ولم يشفوا قلبه بان يخبروه عما صار خوفا من ان يعرف امرهم بل اسرعوا عائدين الى القطار ليعودوا الى بيوتهم.

هذه بعض الشوؤون التي حدثت لابي راجي في امير كما وهي التي طبعت في دماغه ان سكان اميركا بالرغم من لبسهم البرنيطة والافرنجي وكلامهم باللغة الانكليزية ليسوا على شيء من التمدن والذكاء وان بلادنا مع ما فيها من

الخلل بالامن وقلة الحركة اكثرا تمدنا واهلها اعظم ذكاء من كل شعوب الارض . وبناء على هذا لم يقطع ابو راجي ثلاث سنوات حتى عاد بعائلته الى قريته في لبنان حيث ظهر عقله وصفى افكاره من امانيه في الهجرة والاندماج في الشعوب المتعددة الغريبة .

وبعد سنة من عودة ابي راجي الى وطنه عاد احد مواطنه من اميركا وقد كان من جملة الاصحاب الذين اخذوه الى المتحف في نيويورك ولما رد لا بي راجي السلام في منزله دخل الى البيت دائسا على السجادة دون ان يخلع من رجليه عند العتبة فكانت عينا ابي راجي كل الوقت مصوبة النظر الى رجلي الضيف وقد حاول ان يكتم سره ما استطاع ولكنه اخيرا فضح الامر فقال لضيفه بلهفة ان عادة عدم نزع الاحدية في اميركا دارجة ولكن في بلادنا لم تدرج لأن الاحدية توسيخ السجاد . فاجابه الضيف : نعم الحق معك ولكن السجادة تستطيع انت ان تنظفها بالمكنسة ام بغيرها ولا يكلفك امر تنظيفها الا صرف دقيقة وبعض العناء وذكراك على ما يلوح لي نسيت ذلك الخط الذي طبعته على حائط من حيطان المتحف الفني في نيويورك اذ شحست على ذلك الحائط ذلك الخط الهائل بعد الكبريت لتشعل سيكارتك . اولا تظن ان محو اثر ذلك الخط قد كلف

ارباب المتحف اكثرا من ثمن سجادتك ؟

اما ابو راجي فاجاب وفي جوابه بعض الازدراء وقال:

«نعم في اميركا كل شيء يكلف ولو لا العيب والحياة
لتقاوضوا بعضهم ثمن الهواء ولقد كلفني ان اتفرج على قلة
عنقولهم واعود، يتي القديم والحاکورة والاثاث ولكن
الحمد لله تفرجنا على اشياء كثيرة تسمى مدنية الامير كان
ويا لها من مدنية!»



احادیث الغرام

احاديث الغرام

اذا غاب عنك سعيد علام نصف ساعة فقط فانه يخبرك في الاقل عن حادثتين وقعتا معه في اثناء ذلك النصف من الساعة ولكل الخيار بان تصدق ما يقول او لا تصدق الا انه ولا فرق عنده تصديقك لروايته او عدمه يخبرك بأنه اذ كان سائرا في الشارع الفلاني قاصدا المحل الفلاني وقعت عينه على بنت لا احلى ولا اجمل منها عيناها تذبحان وخداتها يحرقان وقدها يقد ونهدها يهد ولم يكدر يقع البصر على البصر حتى رشقته بغمزة من طرف عينها اليمنى فرفع قبعته يده اليسرى وحياتها وعقد معها موعدا للجتماع في اليوم الفلاني الساعة الثامنة مساء مطرا كان ام صحوا هذه حادثة اولى من حوادثه مثلا واما الثانية فهي انه اذ كان راجعا من المحل الذي قصده وهو مسرع الخطى لا يرغب في ان يتطلع الى اي بنت كانت ولو انها نازلة من السماء فجأة نطح اثناء سيره بشخص ولما تطلع اليه ليعتذر اذا به فتاة كتب الجمال على جبينها ايته الاولى والاخيرة فاضطر ان يعتذر اليها بكلام نطيف وانتهى الحال معه انها الغزت له بانها لا تمانع بمرافقته لها الى منزلها فاضطر ان يرافقها ولما وصل الى سلم المنزل ودعها واعطاها

اسمه وعنوانه واخذ اسمها وعنوانها وتعاهدا على المكاتب
والزيارات ويختتم كلامه بقوله «بین مالی وکاتی ضاعت
او قاتی!»

ولسعيد علام مخترعات عديدة في تاليف هذه الحوادث
حتى انه ليخيل لمن يصاحب ان الشاب خلق خصيصا ليكون
مطمحا لامال كل فتاة فاذا جلس في محضر لا ينفك يخبر
السامعين هذه القصة التي حدثت له مع بنت كادت تجن بحبه
وتلك القصة التي حدثت له مع البنت الفلانية وما كان
من امرها حتى يدهش ويغير الالباب . وللمذكور مقدرة
غريبة على الابداع فانه يكيف القصص ويكثر عليها البارات
اللفظية والمقولات الوصفية حتى انه بالرغم من شكل السامع
كلامه بصدق روایته لا يمل من سماعها بل يعجب اذا كان
حقيقة وقع لسعيد علام كل هذا المسنون منه .

وان الانسان ليدهش من مروياته عن الشباك الجبية التي
يقع بها وينصبها هو بنفسه لبناء ميركا . فيقول السامع
بنفسه عجبا يحدث كل هذا لهذا الشاب وليس فيه من
الميزات عن غيره لا بالخلق ولا بالاخلاق ولا بالعلم ولا
بالمال ولا بالنباهة ولا باللغة فاذا كان صادقا بكل ما
يرويه لا مراء بان الامير كيات بلا عقول او ان عقولهن ترللبي
حكى لي صديق ان سعيد علام كان دائمًا يطحله بآحاديثه

عن مواعيده مع البنات الامريكيات وعن الصدف المدهشة

التي تتشبّه معهن دون قصد بل غصبا عنه فقال -

«كنت دائما افكر بحياة ذلك الشاب فاقلبه بفكري
مفترضا انه صادق بكل ما يحدثه فماذا يا ترى يجعله مرغوبا
محبوبا بقلوب البنات بل لماذا يا ترى لا يجري لي ولو
حادثة من الوف جرت له وانا اجمل منه وانظر لباساواكثر
غلبة واطلى حديثا . فضمنت النية اخيرا على ان اكتشف
بنفسي صحة احاديثه وصرت اترقب الفرص لاماشه يوما
كاما في قلب المدينة ذهابا واياها وادخل معه كل مجتمع
يكثّر فيه عدد البنات وكل حانة راقصة او ما شاكل لاري
بام عيني كيف يضع الجنس اللطيف شاكه من كل حدب
وصوب لاقتاصن قلب ذلك الشاب الغريب .

قال الصديق - وجاءني الدهر يوم طالما اشتئنه اذ
رضي معي سعيد علام بالذهاب الى «ستراول بارك» بعد
الجهد والالحاح الشديد لان سعيدا حاول التملص مني
بداعي ان معه موعدا قبل الظهر واخر بعد انظهر وغيره مساء
وهو نها الله فاقنعته بالذهاب معي الى تلك الحديقة فلا بد ان
نقضي النهار بمحاذاة حسنوات تعوض عليه ما كسره من
المؤايد لاجلي . ودخلنا قطار النفق سوية وما كدنا نجلس
في عربة ملأة المقاعد ولحسن الحظ كان كل الصف

الذي امامنا سيدات حتى رأيت بأم عيني ما اعجبني
 وادهشني وجعلني لأول وهلة اقول والله اذن سعيد كان
 صادقا بكل ما رواه للناس من حوادثه الغريبة مع بنات
 نيويورك. فقد شاهدت الابتسامات على افواه السيدات امامنا
 وعيونهن ترممه وبعضها تغمزه وهو يذبل عينيه ويتمم لي
 قائلًا «الا ترى اني صرت تعباً من هذه الحياة فانظر الان
 امامك واعذرني مرة ثانية اذا كنت امتنع عن الذهاب
 معك ومع غيرك الى المتنزهات او المجتمعات»
 اما انا — يقول الصديق الرواية — فقد بدت وصار قلبي
 يرقص وقلت في نفسي سبحان الخالق انه يخلق في الارواح
 جاذبية لا تدل عليها المظاهر الخارجية! و كنت انظر الى
 الناس الجلوس مستغرباً تهافت ابصارهم الى رفيقي سعيد
 علام وكدت اشقق عليه لما يعانيه من رميات العيون الغوامز
 ورشقات الافواه البواسم لولا ان انتصب امامنا رجل كهل
 شبك يده بالحلقة التي يتعلق بها الواقعون وانحنى الى
 صديقي لناحيتي فقال له ان رجل بنطلونه عالقة بضمامة
 جرابته وطلب اليه ان ينزلها منعاً للتشويش الذي يحدثه.
 وقال الصديق ايضاً — فتطلع الى سعيد علام فادا
 بوجهه ممتلىء دماً والخجل ملبس اياه وشاحاً وقد اقتصرنا
 النزهة على الوصول الى الحديقة حيث افترقنا فسار هو من
 جهة وانا من جهة. وصرت اذا اجتمعت به مرة بعد مرة

اهز يده مذكرا اياه بتلك النكتة التي جرت له بحضورتي
 فاضحك كثيرا ويسّم قليلا واحسن من هذا اني صرت اذا
 فاجاته في محضر من الاصحاب يحدّثهم باموره وغرائبها
 يحول الحديث في الحال من صورة الى صورة»



لَا فَرْقٌ بَيْنَ الْأَثْنَتَيْنِ

لَا فَرْقَ بَيْنَ الْاثْتَيْنِ

تلك كانت الزوجة الخامسة لبدر مشرق وقد تزوج بها وهو ابن اربعين اما نساوهه الاربع الاوليات فقد طلقهن واحدة واحدة وانتهى امره بتزوجه الخامسة التي انتخبتها لنفسه وهي اميرة كية تقابلها عمر الارملة لها ابنة من زوجها الاول بعد شهرين من زواجه الخامس صرخ بدر مشرق امام معارفه ان الزوجة الاميركية افضل من السورية واقسم يمينا قاطعا ما عاد يتزوج في حياته السورية لأن الاميركيات افضل للحياة البيتية واكثر تهذيبا واحسن ترتيبا.

عندما اقسم ذلك القسم القاطع لم يظهر على وجهه اشارة الى انه يريد الهرزل بل لفظه كانه مجرم بصحبة الامر يعني ما يقول فهو لقد عقد النية على ان لا يتزوج بامرأة سورية بعد هذه الاميركية التي رأى منها ومن ذوقها وتهذيبها ما لم يره من السوريات الاربع اللواتي كن فيما سبق زوجات لحضرته.

في هذه المرة صار بدر لا يعنيه شيء من امور نظام البيت الا انه يدفع في اخر الاسبوع المبلغ المعين عليه من المال لقضاء الحاجات من دين السمان واجرة البيت وقطع الاثاث الى ما شاكل. اما يوم كان زوجا لأحدى السوريات فقد

كان يعتل السمانة من محال السوريين الى البيت فلا يصل الا وصبره قد جاوز الحدود والسباب والشتائم وانجذيفات تخرج من فيه كقنابل المدافع في حومة الوغى.

وصار على عهد الاميركية لا يحمل صرة برغل ولا لحم ضان ولا علبة بنودة ولا سلة عنب لأن الاميركية تطلب كل هذه بالتلفون فياتي الغلام بطلباته كمار دسليمان الحكيم.

الفرق عظيم بين الزوجة السورية والزوجة الاميركية خاصة عنده في اول عهد زواجه الخامس، السورية اذا ارادت شك الابرة تسأل زوجها ان يشكها لها. تحتار بامرها في ما عساهما تطبخ العشاء فالبارحة كان العشاء كبة وقبله كان كوسى محشيا وقبله كان مجدره واليوم ماذا؟ تسأله رايه قبل ان يذهب الى شغله ماذا تريد ان اطبخ لك؟ فماذا يجيب؟ يجيبها فائلاً: سـم الموت ويخرج من البيت عابساً. اما الاميركية فلا تسأله ولا تستشيره ولا تطلب منه شيئاً سوى دفع الثمن وتودعه انى شغلـه بقبـلـه وتـلاقـيه عند الـبابـ عائـداـ الىـ الـبيـتـ باـخـرىـ وـتـجـلـسـ اـلـىـ جـانـبـهـ تـقـرـاـ معـهـ الجـرـائـدـ فـتـحـادـثـهـ باـمـورـ كـثـيرـةـ تـخـوضـ عـبـاـبـهاـ عـاـمـلـةـ فـكـرـهاـ وـنـاظـرـةـ بـكـلـ حـادـثـهـ وـبـكـلـ مـوـضـوعـ وـاـذـاـ تـكـلـمـتـ مـعـهـ تـنـهيـ عـبـارـتـهاـ لـهـ يـاـ عـزـيزـيـ وـيـاـ حـبـيـبيـ وـيـاـ عـسـلـيـ بـكـلـ هـنـوـءـ وـكـلـ نـظـامـ العـشـاءـ يـحـضـرـ عـلـىـ الـمـائـدةـ الـسـاعـةـ الـسـادـسـةـ مـنـ كـلـ مـسـاءـ

وكل شيء يلزم لتناول الطعام حاضر بينما السورية تعلل زوجها بقولها ان اللحمة لم تنضج بعد فتدق الساعة السابعة والنصف والزوج يتقلب على مقالبي الانتظار بمعدهة فارغة بعد تعبه كل النهار بالشغل ثم لما ينضج الطعام ويجلس مع زوجته للأكل لا تلبث ان تنهض لتاتي بالخبز لاعنة الشيطان كيف انها نسيته ولا تكاد تستوي في كرسيها حتى تنهض ثانية لتاتي بالملح والفلفل وثالثة لتحضى الفوطة وتنهال مرة ثانية باللعنات على الشيطان لأن العجلة منه فلا ينتهي العشاء الا بعد عناء وتلذك كثيرين .

كل هذه الفروق كان يلاحظها بدر فيشكّر الله انه خلصه من بلادة السوريات وهدف اليه اميركيه تريخ باله من كل هذه الامور فليس عليه الا الاجتهد وتحضير المال للمعيشة واما امراته فعندما كل شيء اذا حضر المال .

كان بدر صديق سوري ذكي الفوءاد مختمرا بالعبر وصروف الدهر وتقلبات الايام وقد التقى مرّة به فاخبره بدر بكل متعوره وراحة باله فسمع منه صديقه كل بحثه عن الفرق العظيم بين الزوجة السورية واختها الاميركيه ولكنه اخيرا قال له وكان ذلك في عام ١٩٠٢ : «ان موضوعك جليل الفائدة وفيه حقائق كثيرة ولا استطيع ان ابحث معك فيه طالما اختبرت الامر بنفسك فتوصلت الى معرفة الفرق

بين السورية والاميركية ولكن كم صار لك مع الزوجة
الاميركية؟»

فاجابه بان صار له نحو سنة: عندئذ هز صديقه راسه
ماسكا طرق قبة سترته ماطابوزه قليلا ثم تتم هذه الكلمات
«ولكن لم تزل يا صديق في شهر العسل!»

في سنة ١٩١٠ كان الناس يتداولون الجرائد ليقرأوا
ماذا كان من امر المحاكمة في الدعوى التي رفعتها مدام
بدر مشرق على زوجها بدر وقد انقضى عليها نحو ستين
تنقل من محكمة الى اخرى ومحامون من الطرفين يوما
يتفاوضون واخر يتازلون في المحاكم حتى صدر الحكم
النهائي بطلاق مسز مشرق من مستر بدر مشرق وبتعيين
راتب شهري يدفعه المستر للمسز في راس كل شهر لاعالتها
وبان يكون المنزل بما فيه من اثاث خاصتها.

اما الدعوى المذكورة فقد كانت مبنية على ان المستر
شرق كان يهمل زوجته ويعطي اكثر انتباذه لابنته
في جانها ويلاطفها في حين ان زوجته تكون منهكة بأمور
البيت وانه كان يزجرها ويغاظ كلامه لها وقد فر جبه من
يوم صارت ابنته صبية وانه مضى عليهما العام الاخير ولم
يقبلها فيه قبلة من تلقاء نفسه الا بعد صياح وشجار وانه كان
يقضي الليلة والليلتين خارج البيت في حين كانت تحسي

الليالي ساهرة متربعة رجوعه الى بيته .
 وفي اواخر عام ١٩١٠ ارتاح بدر مشرق من الراتب
 الشري لزوجته المطلقة الذي اعياه واثقل ظهره لأن مسن
 مشرق غيرت اسمها وشلحت اسم مشرق كما تسلح الشجرة
 ورقاتها في فصل الخريف وغيرتها باسم سلفان وهذه كنية
 زوج جديد من لحمها ودمها . وقد تنفس بدر الصعداء عند
 ما بلغه ان الراتب المعين عليه انتهى امده .

في سنة ١٩١٣ كان بدر قد صار كهلا قريبا من الشيخوخة
 وقد ااحت الايام ظهره وفقدت نشاطه فصار ميالا الى اللهو
 ولو لا الحاجة لما اغار شغله اقل اتباه . في تلك السنة
 دخلت الى محله امرأة كهله وبعد ان حادثة قليلا عن شغل
 قالت له :

«انت بحاجة يا مستر بدر الى شريكة لحياتك تعنى
 بامور بيتك بينما انت تدير اشغالك في هذا المحل»
 اما هو فاجابها وقال : لقد شعرت بهذا منذ سنين فراح
 البيت مع المرأة والآن ليس لي الا بضع سنوات في هذا
 العمر واظن هذا المحل يقيني الحاجة والسؤال اذا حافظت
 عليه .

فاجابته انه اذا اراد المحافظة على شغله يجب ان يكون
 باله مرتاحا بامور معيشته ولا يرتاح الا اذا دبر نفسه بنت

حلال كما فعل ابن أخيها وقد كان شابا جبارا تهتز الأرض
من وقع خطواته فلما نزوج صار شابا لطيفا وعين الله ترعاه
فقال بدر: «كنت مثله وأكثر ولسوف يصير مثلي وانحس
وفيما هو يتكلم واذ دخل عليه صديقه الذي قال له انه لم
يزل في ذلك الحين بشهر العسل فسلم عليه بعد طول غياب
وعندما ساله عن المدام التي رأى منها ما لم يره من زوجاته
السوريات اخبره بما جرى عليه وانه صار يعتقد بعدها بان
لا فرق بين المراتين السورية والاميركية وانه في حياته ما
عاد يفتكر لا سورية ولا باميركية فاجابه صديقه اذا كان
الزواج عندك طلق المرأة وتزوج باخرى فان كان من
فارق بينهما او لم يكن لا فرق عندك.



اللّٰه يسْعَدُه وَ يُبَعِّدُه

الله يسعده ويبعده

لم يكن من يستطيع فهم اصل الخلاف بين ابرهيم الصالح
واخيه فريد وقد بدا الخلاف بينهما في اول اسبوع وصل فيه
الصغرى الى هذه البلاد . وبعد ان كان ابرهيم يستعد
لاستئجار نزل خصوصي يشتري له اثاثا جميلا ليعيش مع
اخيه فريد كعائلة صغيرة لبث في غرفته المفروشة وطرد اخاه
من عنده فاضطر المسكين وهو دون السابعة عشرة الى ان
يستاجر غرفة له ذرية جدا وان يعمل كاجير في محل تجاري
ليعيش مستقلا

حكى لي فريد الصغير عن خلافه مع اخيه فقال انه لا
يعلم لماذا كرهه اخوه ولم ياثم امامه ولا اخل باعتباره
ك أخيه الاكبر وولي نعمته ولكن له سبب بسيط جدا ارتى
ابراهيم ان يفترقا وان يعيش كل منهما لنفسه وقد منعت
اجتماعاتهما معا الا اذا كانوا وحدهما واذا ذاك يستعمل
ابراهيم سلطته على اخيه فيامرها امرا وينقض سترته باصابعه
علامة انه هكذا يريدان يعمل واذا ابي فلا يكون مسؤولا
ان خلاف الاخرين على هذه الصورة امر غريب جدا فليس
بينهما من خطأ ارتكبه احدهما ضد الآخر ولا بينهما ما لا
يمحي على ان الاثنين ناجحان باشغالهما وابراهيم رجل

يبلغ الخامسة والثلاثين وقد صار له نحو عشرين سنة يعلم في اميركا ولما انهى فريد المدرسة الابتدائية استقدمه اليه على امل ان يفتحا محلات تجارية يكون فيه رئيسا واخوه مدبرا الا ان الامور انتهت بالجفاء بين الاثنين في اول اسبوع لوصول فريد الى اميركا

اما فريد فشاب ذكي له المام بالعلوم وولع بالمطالعة قليل الكلام ولكنه رصين لا يتكلم الا اللازم الذي يفيد عكس أخيه الأكبر فإنه كثير الكلام كثير الدعوى يتدخل في كل موضوع ويحشر نفسه في كل مشكل وقد ولع أيضا بالمطالعة الصحفية والكتبية وانما ولعا سطحيا فكان يحفظ اسماء اعاظم الرجال من ساسيين وعلماء وفلاسفة وشعراء فإذا تكلم في اجتماع يكثر من ذكر تلك الاسماء فينظر الناس اليه كرجل عليم في صدره كنوز علم وعرفان فإذا كان الحديث عن السياسة اسرع ذكر بسمارك وغلادستون وقال فلان قال كذاو كذا ومن اطلع على ما كتبه او قاله بسمارك او غلادستون ليكذبه؟ وإذا كان الحديث عن الشعر ذكر في الحال المتتبلي وابا العلاء مع بعض ايات لكتلهمما يقولها باللفظ المكسر ثم يعمق بتاريخ الشعر فيذكر هوميروس ويتردج بالاسماء الى هيكلو وموسيه وووووو .. حتى يسكت الحاضرون ويعطوه موقف الكلام ولا يعدم ان

يرى منهم اعجا با بسعة معارفه ووفرة علومه حتى صار عندهم
مرجعاً لكل امر ومضرب المثل في العلم بكل باب من ابوابه
ودام هذا معه حتى وصل فريد الى نيويورك فصار يحضر
مع أخيه بعض الاجتماعات ويراه راكباً مركب الشطط
باكثر احاديثه فكان يسكت اولاً حياءً منه ولكنه بعد ان
استأنس صار يعترض على غلط أخيه ويصلحه فكان ابرهيم
يحرق الارم غيطاً ويلعن الساعة التي وصل فيها اخوه لينزع
عنه مقامه كعالم بين الناس

ومرة كان الاخوان في سهرة حافلة وكان الغونغراف
يشتف اسماع الحاضرين والكونوس دائرة عليهم واخر
اسطوانة سمعوها فذهبوا بسحرها كانت اسطوانة للصلبان فيها
«يا ليل الصب . . .» فكان بعضهم يعيدها ويعيدها ويساعدها
غناءً بها واستشهاداً بمعانٍ ايّاتها الجميلة حتى وقف عند
«رقد السمّار وارقه» فقال في القوم - من هذا السمّار؟
فاجاب احدهم وقال «اظن ان السمّار هو الذي يدق

السمّامير»

فضحك الكل من جوابه
وقال ثان «اظن السمّار هو الهراء السنور لا بل السنمار»
وقال ثالث «لا بل هو السمرمر الذي يطارد الجراد»
وأختلف القوم على معنى الكلمة وابراهيم الصالحي تتحنّج

وقد غاب عن الحضور بفكرة لياتي لهم بمعنى الكلمة فيكون
 كلامه فصل الخطاب . واما اخوه الصغير فريد فكان الحال
 عنده كالتياترو فما كان يهدا من الضحك بكل ما استطاع
 شدقاوه وبكل ما في رئيه من القوة
 واخيرا صاح صائح وقال «عندنا ابرهيم الصالح ونجاسر
 على تفسير الكلمة فلنسمعه الان يحل لنا المشكل»
 وسكت الحاضرون ووقف الفونغراف وصاروا كلهم
 اذا صاغية مستعدة للسماع وعيونهم مصوبة على نقطة واحدة
 هي وجه ابرهيم الصالح
 عندئذ لم يعد لا برهيم من مهرب فعارض عليه ان لا يحل
 مشكلة صغيرة كهذه وهو لم يعودهم ذلك ففتح اولا فمه
 ببطء كلي وعيناه محملتان ووجهه يتطاول وكان بطرف
 نظره يحدج اخاه فريدا لهذا تعلش قليلا ولما تحنن الله
 على صبر القوم خرجت من فمه كلمة «اذن» خمس مرات
 وبين كل مرة وخرى فرصة دقيقتين حتى اخيرا افاض بحل
 المشكل طارحا عنه التردد المصنوع وقال «ان السمار هو
 السامي عنوان اليهودي ويظهر ان قائل تلك الايات يهودي
 فيكون المعنى ان العدو نام وهو لم يتم بل ارقه الالم»
 ويظهر ان فريدا نسي ان اخاه الاكبر كان المتتكلم ولهذا
 استuan بكل ما في قدرته على الضحك حين كان الكل

صامتين على وجوههم سيماء الرصانة يتوقعون القول الفصل
 من رب العرفان عندهم وهذا ما دعا ابرهيم ان يستشيط
 غيظا من أخيه فشمه ولولا حرمة الناس لكان ضربه، فاتتبه
 فريد لأمره وعقب ضحكته الطويلة عبوسة فجائية فاستصح
 أخاه واقر بأنه مخطئ وأنه نسي نفسه لتفاسير القوم الكلمة
 «سماز» البعيدة عن الصواب

عندئذ قال له أخوه «انت يا فريد مثل كل ولد يأتي من
 سوريا مملوء دعوى ولا تحترم معارف الآخرين بل تظن ان
 ما تلقنته في المدرسة هو كل العلم مع انه ينقصك تهذيب
 كثير. والآن «يا عيب الشوم» دعوتنا نخجل امام الناس
 فقم بنا قم»

وقد الح الحاضرون على ابرهيم ان يعدل عن فكره
 بالرحيل وان يهدى، روعه قليلا فان أخاه سيعلم فيما بعد
 فيحسن سلوكه ويعرف كيف يجالس الناس
 وكان احد الحاضرين الذين فسروا الكلمة شديد الاستياء
 من جواب فريد لأخيه بأن تفاسير القوم اضحكته فخاطبه بimpl
 الاشمئزاز قائلا «وهل عندك تفسير احسن اي نعم نحن
 لم نتعلم في المدارس مثلك ولكن لا اظن ان كلامنا يوجب
 ضحك الناس الا اذا كان ضحكتك بلا سبب والضحك بلا
 سبب من قلة الادب

هنا تبدلت هياة فريد الصغير فقال بصوت لطيف والhire
 اخنة منه ماخذا «اعذروني يا اخوان على ما بدر مني فانا
 لم اقصد بضم حكى الحط من كرامة الذين فسروا كلمة «سمار»
 بل ان تفاسيرهم جعلتني اضحك لاننا في مجلس سرور
 ويجوز فيه لاي كان ان يضحك »٠

اما ابراهيم فظل واقفا يشد بذراع أخيه ليخرج من تلك
 الجلسة لثلا يحدث ما يكرره اكثر . ولكن رجلا متقدما
 في السن اعجبه منطق فريد فنهض باسمه وتقديم الى ابراهيم
 بلهف سائلا اياه ان يعود الى مكانه لمحو اثر الخلاف
 خوفا على خاطر الصغير القادم من البلاد فقد شعر بنفسه ان
 فريدا انكسر خاطره فاضطر ابراهيم الى الجلوس وعاد
 الى رجل المتقدم في السن فقال لفريد «يا فريد لا تزعل يا
 ابني لا بأس عليك مسألة صغيرة لا تستحي بكل الحاضرين
 اخوان اي يا ابني اقعد وقل لنا الان كيف تفسر كلمة سمار
 لنضحك نحن عليك كما انت ضحكت علينا»

فضحك القوم سلفا على فريد ما عد ! ابراهيم الذي كان
 السم يغلي في قلبه ولكنه لم يجرؤ ان يعترض ولما رأى
 فريد ان الحاضرين سري عنهم تبسم وقال
 «ان الكلمة سمار جمع سمير والسمير هو الذي يسهر الليل
 فيكون معنى الشاعر ان الساهرين ناموا الا هو فقد حرمه

النوم الم يغدوه»

فضحك ذلك المتقدم في السن ضحكة كبيرة وقال «اي والله الان اخذنا بشارنا منك» وضحك لضحكه الحاضرون الا ابراهيم الذي نهض في الحال يريد الذهاب مع أخيه بداعي ان السهرة قد طالت

تلك السهرة لم يتم فريد مع أخيه ومنذ تلك السهرة لم يعد يضم الاخوين اجتماعاً وعندما يسأل ابراهيم عن سلوك أخيه يهز راسه ويتهجد قائلاً «ما احد اشتري البلوى لنفسه مثلي فقد كنت بلا هم فجئت باخي ليزيد سروري فكان انه حرمني الراحة ولكن امير كا واسعة فالله يسعده ويغدوه»



عبد الفطرة

عبد النطرة

حنا مرقص هاجر الى اميركا وهو دون العشرين من عمره وقد تعلم الانكليزية المكسرة عن طريق البيع بالكتشة فالجذدان عرض بضائعه في الهوتيلات.

كان في بادئ امره خجولا يرى كل شيء اكبر منه وكل انسان اعلم منه ولكنه بعد ان صار يستطيع الرواج والتجيء في شوارع المدينة ويمكنه التنقل من بلد الى اخر اصبح ذا افق واصل ذری السموات فصار من اكبر الاغنياء بمئة ريال وفراها في بنك الحكومة وصار من اعلام الكرة الارضية بتعبيره باللغة الانكليزية المخلوطة كلمات عربية عصيت على انكليزيته ولكنه يخلطها ضاحكا لتجيء من فيه كانها مقوله منه للفكاهة وصار من اقدر الناس على الدخول في معركة البشر لانه يستطيع ان يضع رجلا في نيويورك وآخرى بسانفرانسيسكو

إذا جلس في المطعم السوري تبقى فرتينكته نظيفة اذا يستعيض عنها باصبع يديه ويكبر اللقمة التي غالبا يلحسها باصبعه فيه لتدخل غصبا عن اتساع فمه اما اذا جلس في مطعم امير كاني فلا يأكل السمك الا بالفرتيبة وكثيرا ما يترك الدجاجة المحمرة في صحنها

مهرمة منه هرمثة لتعذر استخراج لحمها بالفرتيبة فتبقى
 عينه فيها ومعدته تطلع وتنزل شوقا الى ابتلاعها ولا يجسر
 ان يفتك بها لانه عالم جيدا انه في مطعم امير كي .
 كان يحلق كل صباح ولكنه كان يلعن هذه البلاد التي
 تضطره الى ذلك متمنيا الرجوع الى قريته التي لا يضطر فيها
 الى تكليس شعر وجهه الا مرة كل اسبوعين
 كان يداري لباسه وهنداه ويشتري لنفسه وردة يوم الاحد
 وكلما جلس على مقعد او كرسي يشقل بنطلونه محافظة
 على كيته عند الركبيتين ولكنها ابدا يفضل القمباز لعدم
 اثقلة بلسه وانما لم يجسر على ان يقول ذلك امام الغير
 بعدما قضى السنين الاولى في هذه البلاد ابتدأ يتدخل
 بين الاجانب ولم يقض الخامس سنوات حتى صار امير كي
 اتبعة يضوت للمنتخبين الى الاحكام ويتحزب لبعضهم
 دون البعض الآخر ولكنه كان قبل ان يذهب الى عالم الاحلام
 في كل ليلة تبقى جفونه مفتوحة وفكرة محلقا في سماء الاماكن
 متمنيا العودة الى بلده لينام تحت الشجرة لحافه السماء
 وفرشته المرجة ووسادته الكرسي الصغير المصنوع من القش .
 هذا حنا مرقص له وجهان وجه امير كي بالظاهر وآخر
 بليبي بالفطرة وما زال في امير كا فالطبع غائب عليه
 ونكته يوديحن الى التخلص من نيره ليجعل فطرته السائدة .

في امير كا اه لو عاد حنا مرقص الى «كفرطه» فريته
ليخلع عنه الرداء الافرنجي ويوفر كم مسبة دين ولعنة لدى
ترتيبه الرابطة في حال شدها ذها با وايا با

حسن جاء الوقت الذي اصبحت فيه خطوات حنا مرقص
مسددة نحو الوطن عندما افتتحت الطريق بين العالم الجديد
والعالم القديم عندما كانت الحرب قد اوصيتها حينا
طويلا وبعد الجهد الكلي حصل على باسبورت من الحكومة
الاميركية ليعود الى حضن امه العجوز وليشترف بخبرته
ومعرفته الكرم والارض التي ورثهما عن المرحوم ايه
كان يقول لاصحابه انه لا يفتكر بالعودة الى امير كا
لانه ذو مال كثير وخبرة وافرة بالتجارة وبالاده مفتوحة
جديدا فالمستقبل امامه فاتح باب النجاح الكبير
ووصل حنا مرقص الى البلاد فكتب الى صديق له يقول انه
لا يفتكر بالبقاء اكثر مما يفتكر بالرجوع فان سوريا لم
سوريا لم تأت على ذوفه وقد كان ظنه ان البلاد تغيرت
ولكنها بالحقيقة لم تتغير فان الخياطين لا يعرفون التفصيل
والخياطة على الازياء المستحدثة والبيوت خالية من الحمامات
واذا اراد ان يحلق كل يوم يقضى بالاقل ساعتين بينما
يسخن الماء بالقدر اذا اراد التنزه في المتنزهات لا يجد
مقاعد تحمله وتقيه من الرطوبة وبالتالي لاح له ان ميدان

التجارة ضيق في الوطن لأن الناس هناك يتكلمون بالغروش
ما في أمر كا فيتكلمون بالزيارات.

هذا حنا مرقص كان يرى نفسه مقيدا بسلسل مدنية
امير كا فلما صار في سوريا ورأى نفسه حرًا من تلك القيود
تمنى الرجوع إلى امير كا لأن امير كا الله يعمرها، بلاد
تسكن، وهي بلاد الناس كما يقولون عنها

وعاد حنا مرقص إلى نيويورك «رافعا العشرة» عن
الفكر يوما بالرجوع إلى الوطن قائلا في نفسه إن الأحسن
للإنسان، أن يجعل أمير كا وطنه ويقف عند ذاك الحد.

وما كاد يقضى الشهر في امير كا حتى عاد تمني حنا
مرقص إلى الحرية النفسية التي يتمتع بها في بلاده ولكنه
حار في هذه المرة يحمل نفسه على كره هذه الأمانة لأن
ماله الذي جمعه بعرق جبينه في السنوات العديدة كاد يرسف
في آخر جيده ولم يعد يدرى ماذا يحب امير كا وفيها
الخياطون ذوو الاتخراج وفيها المتنزهات ذات المقاعد
والمناظر البديعة وفيها الحمامات والماء الحار للحلاقة كل
يوم مما يضئك المرء ويجعله مقيدا بسلسل قوية من العادات
التي امتطح عليها البشر ألم يحب وطنه وليس فيه هذه القيود
وهي مما تلزم البشر في معيشتهم!

و قبل أن ينهي الصراع بين هذين العاملين المتناقضين

عامل كره اميركا لقيودها وكره سوريا لعدم وجود مثل
 تلك القيود الاميركية تناول جريدة السائح فطالع فيها
 قصيدة مخائيل نعيمه «جبل التمني» واعاد قراءتها مرات
 ليتشبع من معاناتها فغالب نفسه بهذا الشطر
 «اتمنى لو كنت لا اتمنى»
 فغلبها نوعا فائلا: مع السوق سوقي والسلام!



الامل والامل

الامل والالم

ابو حنا هاجر الى اميركا مع ام حنا بعد ان رزقهما الله
 حنا بستين املا ان يكتس كم سلة ذهب من اميركا
 وباتي بها الى وطنه فيبني قصرا ويشتري حاكورة جاره
 ويعيش مع ام حنا واولاده بدخله الكثير دون هم ولا
 تغير.

كان ابو حنا قبيل عقده النية على ان يهجر الاوطان
 يتامل في السعادة التي يحصل عليها اذا رجع من اميركا
 موفقا «منيما» مئات الريالات بل الوف الريالات فيمد
 نظره الى بعيد قائلًا في نفسه اذا كان كل ما يقع تحت بصره
 يصير ملكه وهو جالس في قصره يلحن اركياته لا تعب
 ولا شغل ياتيه فلا حوه بما يزيد على نفقاته كل سنة، فيا
 لها من حياة هنية !

وام ابو حنا اميركا بعد ان رهن داره وجاء بالام والطفل
 الى اميركا بعد عذاب كثير في بيروت ومرسيليا ونيويورك
 ايضا حيث لاقى الاهوال في الجزيرة بسبب مرض السيدة
 ولكن حظه خدمه قليلا لانه في نيويورك وجد من ضياعته
 صديقا قديما كان يتوسط له في ادارة المهاجرة وبعد
 اسبوعين من وجود ام حنا في المستشفى خرجت من المطر

الى عالم الحركة والتجارة .

وظل ابو حنا ضيفا عزيزا على صديقه مدة اسبوع تعلم
في اثنائه شيئا من الشغل وامسك سيل التجارة من اوله اذ
ابتاع له مضيقه كثة ملائها بالدبابيس والابر والمقصات
وبعض قطع من مناشف وغيرها ودربه على كيفية حملها
على كتفه وانزالها وعلمه بعد الجهد كيف يطرق الابواب
وكيف ينزع برنيطه ويحيي وكيف يسأل ان يقبل الناس
على ان يشتروا منه ويحابروه . وكان ابو حنا لدى كل هذه
الامور يلعن ريقه ويكبس على جرحة شاعرا انه كان في
اماله القديمة في واد والحقيقة في واد فان الشوارع التي
أمل ان يكنس منها سلالا من الذهب كانت اما نظيفة من
كل شيء واما مملوءة ونحلا واوساخا . ولكنه لم يجسر على
ان يتغوه معتبرا على ما شاهده خلافا لما امل او بالاحرى
استحيى ان يقول امام مضيقه شيئا مما احس به لدى وصوله
من الاخلاق فبقي سره في قلبه واحتمل الكثة وتواعبها
لاغالة ام حنا وطفله في ارض الغربة .

ولا حاجة الى اطالة الشرح من ان السين العشر الاولى
التي قضتها عائلة ابي حنا في اميركا كانت مزبجا من العنااء
الجم بالنجاح القليل الا انه في خلالها كبرت العائلة وصار
لابي حنا اربعة اولاد غير حنا وكلهم لم يشعر بتراثهم

البيتية فانه نظراً لشغله مع امهם بالبيع اضطر ان يكذب على ملاجيء الایتام قائلاً في كل واحد يدخل اليه ولداً ليتعلم ويتربي مجاناً انه يتيم بلا ام واحياناً كانت تذهب الام فتقسم امام عملة الملاجأ ان ابنتها يتيم بلا اب. وهكذا رفع الولدان عنهم مشقة التربية معتبرين بتجارتها وقد اشتراها على الشغل سوية وصارا قادرين على ان يقوما باود نفسيهما مع كم ريال تزيد في كل اسبوع على نفقاتهما فتاخذها ام حنا وتكتنزها في الکمر الذي جاءت به من سوريا لتخبئها الى يوم يسمح الله بالرجوع الى الوطن ولا تسل عن الاقتصاد الذي مارساه في بحر هذه المدة لان افكار الزوجين كانت محصورة بجمع المال للرجوع الى الوطن في الفرصة السانحة الا ان الايام لم تتم صفوها لابي حنا ففي يوم من الايام عاد اولاده الخمسة دفعة واحدة لان الملاجيء علمت بان ابوهم حيان يرزقان وانهما من ذوي اليسار وبعد الجدال الطويل والعناء الكثير اضطر ابو حنا ان يرجع اولاده الى بيته ولكنه لم يشعر بخنو والدي نحوهم فانه ظل بمعرفته اللغة الانكليزية لا يزيد على ما تعلمه من مضيفه في نيويورك وابن بلده في週間 الاول لوصوله الى اميركا اما اولاده فكانوا كاًنهم اميركان اباً عن جد لا يعرفون من العربية كلمة واحدة ولهذا كان يضطر ابو حنا الى استجاد

شاب سوري ليقف بيته وبين اولاده ترجمانا ينقل منه اليهم ارادته الوالدية ومنهم اليه صعقاتهم على سوء طالعهم الذي رماهم في بيت قدر كبيت ايهم وهم اعتادوا النظافة واللباقة في المدارس الاميركية.

اما ام حنا فكانت ازلق من زوجها باللغة الانكليزية ولهذا مال الاولاد اليها دون ايهم بل كانوا يخجلون ان يدعوا له اولادا واكثر ما كان خجلهم عندما الاولاد في الشوارع يعرفون انهم سوريون وكانوا اذا رأوا من ايهم شيئا لا يرضيهم يشتمونه بكلمة «سوري» اما هو فظل ممسكا غظه حتى عيل صبره واما ام فكانت تأخذ جانب الاولاد واحيانا تبكي من قهرها وتحن عليهم وتلاطفهم وهم رويدا رويدا شعوا ببعيلهم الى هذه الامراة التي فيما بعد شعوا ببعيلهم اليها كام لهم اما ابوهم فما كانوا الا ليزدادوا نفورا عنه وابتعادا كانه غير ايهم.

وماءت الحال في عائلة ابي حنا فاصبحت حزينه متاكفين الاب من جهة والام والولاد من جهة ثانية فلدى كل وقعة كان الصياح يتعالى لان ابا حنا لا يعجبه الا الطعام العربي والولاد يحنون الى «الستيك والهام والرسو الى ما شاكل» والام ميلها ميل زوجها ولكنها كانت تسابر الولاد وتعنف الاب داعية اباه «فلاحا» ولم يزل كذلك

حتى في اميركا بلاد التمدن والحضارة . اما ابو حنا فكان يتساءل في نفسه ما عساه يا ترى يفعل بنفسه ليخلص من جهنم البيت فكانت احياناً تشير عليه ان يترك عاداته ويتلقن من اولاده العادات الاميركية لأنهم متعلمون متذبذبون فكان يجيئها ويجيئ نفسه هازا راسه -
 «عندما كبر وشاب حطوه بالكتاب»

وأزداد سوء الحال حتى اصبح ابو حنا مكروهاً من الاولاد والام بسبب الشجارات الى حد انهم ما كانوا ينامون نيلة بملء جفونهم والحقيقة ان الام المسكينة كانت اتعسهم فانها كانت بين ويلين عظيمين واختارت الوقوف بجانب فلذات كبدها تاركة زوجها المسكين يعاني امر ضروب المعيشة فلا هو يفهم الاولاد ولا الاولاد يفهمونه حتى افتر اخيراً ان يهجر البيت دون ان يودع عائلته تخلصاً مما كان فيه من الحالات .

في احدى مداشر اميركا العظيمة شوهد ابو حنا لا يبا طقماً ايض رافعاً عصاً كبيرة وفي راسها ضمة من القش الطويل واما معلبة ذات دولابين يسوقها بيده اليسرى وكان الشاهد ابن بلده الذي احتضنه وعائلته في الاسبوع الاول لوصوله الى نيويورك وعندما رآه قال متربداً :
 «هذا ابو حنا . والله هذا هو ! ..

— الست ابا حنا؟

— نعم يا صاحب كيف الحال؟

— ما لك وماذا تعمل هنا واين ام حنا والاولاد؟

— تعلم يا صديق اني جئت بام حنا وحنا الى هذه البلاد
وقد صار عندي اربعة اولاد غير حنا في هذه السنين . و كنت
قد خجلت ان اخبرك لدى وصولي الى اميركا اني لم ار
فيها ما كنت اعمل نفسي به فقد كنت آمل ان اكتس كم
سلة من الذهب من الشوارع ولكن

— ماذا صار لك ؟

— جئنا لنكتس الذهب فضيغنا المرأة والابناء وصرنا
نكتس الوسخ والاقدار



مدرسة الغربة

مدرسة الغربة

«أهل بلادنا مساكين متاخرون بكل شيء ولولا الغربة
لكانوا لا يفرقون عن أهل إفريقيا — الغربة علمت أكثرهم
وفتحت بصائرهم فصاروا يعرفون ما هي الدنيا»

هذه بعض عبارة طويلة قالها الياس شدراوي في حضرة
جمهور من المواطنين في أحدى قهوات السوريين وكان
ال الحديث عن تذكريات عن特 بعضهم في الوطن ولما اراد
واحد منهم ان يرد عليه قائلا انه في الماضي كانت حال
السوريين في سوريا كما ذكر ولكن منذ عشرين سنة اي
بعد ان هاجر الياس شدراوي من سوريا امتلاط بالمدارس
فصار الاهلون هناك يعرفون كل شيء وهم لذكائهم الفطري
صاروا ابرع من الاوربيين والامير كان بكل شأن
اما الياس الشدراوي فلم يقتصر بهذا الردبل نشل التربيع
من فيه فحال الحاضرون انه سل من فيه اسناني وقال «في
بلادنا لا يزالون يعتقدون ان شوارع اميركا مرصوفة بالزجاج
وان المرء يستطيع ان يحفر اينما كان فيجد الذهب بكثرة
وكثيرا ما نسمع انهم يعتقدون بغرائب الامور في اميركا
ونحن قد صار لنا عشرات السنين فيها لم نر اثرا لذلك»
اما الذي فتح باب الاعتراض على حديث الياس

الشدراوي فقد اقفله بنهوشه ومغادرته الجماعة بعد ان قال
 «هذا كله مضى عهده من زمان والآن حانت ساعة الصلاة
 لقداس الاحد نهاركم سعيد جميعا»

ذهب المعترض تاركا في القوم حديثا عن سوريا
 والسورين لا يلشم وكلما اراد احدهم جمعه في نقطة يظهر
 غيره فيشعبه الى جهات عديدة حتى ضاعت الطامة بينهم وبعد
 ساعتين تماما اي قرب الظهر كان الحديث قد انتقل منهم
 من معارف السوريين بالمقابلة بينها وبين معارف المهاجرين
 الى مصر والمصريين والحكومة الانكليزية وحادثة اعرابي
 وشوؤون عديدة والحديث كما يقولون شجون

لا ازال اذكر ذلك الاجتماع الوطني وقد مضى عليه
 اكثر من عشر سنوات في مدينة بعيدة عن نيويورك وقد
 اوقعتني رحلاتي في تلك القهوة صبيحة احد من الاحد
 فجلست الى طاولة امتص القهوة واسمع من بعيد حديث
 القوم لاقل الوقت الفارغ ولما لم اكن اعرف احدا منهم
 جلست غير مشترك بالحديث اتسلى بما اسمع الا ان تفرع
 الطرق التي سلكوها في احاديثهم قادعني الى النعاس فصرت
 اكتو دقة ولما يطرق راسي بالحائط اضحو ثم يعود بي
 حديثهم الى طرقه ثانية وكثيرا ما همت بالرحيل ولكنني
 لم أجد في قوة كافية على النهوض وبالتالي كنت غريبا في

ذلك المدينة وليس لي من مكان اذهب اليه الا تلك القهوة
 والنزل الذي نزلت فيه ولهذا وقعت ارادتي تحت كابوس
 النعاس فلبشت كمن في حلم مزعج يشاهد ادوارا غريبة
 فيقول في نفسه قد اكون في حلم فيجده قريحته في معرفة
 ما اذا كان في حلم ام في يقظة
 وفيما انا بمثل ما ذكرت من الحالات اذا يد هزت
 كتفي فانتبهت مذعورا واذا بصديق تعرفت عليه من سفرة
 ماضية فقال لي «اتنام في الصباح . اصح يا فلان واخلط
 نفسك بين الاخوان فتسلى وتقصي عنك النعاس»

قال هذا وتقدم نحوي فوضع فمه على اذني وقال لي
 «ه هنا رجل غريب في اطواره يدعى معرفة كل شيء وهو
 يجهل القراءة والكتابة وما احاديثه وتدخله في كل موضوع
 الا فكاهة لمن يسمع فانتبه قليلا فاني ساشر ثائر اخلاقه
 واجعله يدخل موضوعا غريبا موء كدا انك ستتشق من الضحك»
 وصاحب صديقي الذي استانست به كثيرا بالخدم طالبا
 فنجاني قهوة لي وله و كنت فعلا قد انتبهت وطار من عيني
 كل اثر للنعاس اما صديقي فدخل في حديث القوم قائلا
 «باي شيء تتحدثون؟» فاجابه الياس شدراوي «كان
 الحديث عندما دخلت عن الحكومة الانكليزية في مصر
 و«داعيك» كنت احكى لهم بما اختبرته بنفسي في ذلك

القطر بعد حادثة اعرابي فان الانكليز استعملوا الشدة الهاطلة
فيه حتى استطاعوا ان يجعلوه جنة عدن»

ومن الغرائب ان هذا الرجل كان يحكى بلغة سوريا
عندما ابتدأ قبل ان نعست لان الكلام كان عن سوريا واما
الآن فلما صار الكلام عن مصر صار يتکنم بلغة المصريين
ولهجهم ولهذا انصت انى حديثه ايما انصات لاعرف كيف
يتنهى وبایة اللغات زد على ذلك ما اخبرني عنه صديقي
من انه ایة من ايات الدهر بالتحشر في كل شان وموضوع
اما خطابه فكان طويلا جدا وقد لذ لي تعرجات حديثه فطورا
كان يلم بسياسة مصر فيتهي بالفراعنة القدماء وطورا يتجه
نحو الاحتلال الانكليزي فيذيله بحادثة مكتبة الاسكندرية
على عهد عمر بن الخطاب وكل ذلك بلغة المصريين
ولهجهم كانه خلق في مصر وجاء منها في ذلك اليوم
ولا اطيل على القاري، فاذكر كل ما سمعت مما كان
يضحك كثيرا بل اقتصر على اخر حكاية اوردها المذكور قال
«في مصر يدفع كل محكوم عليه بالشنق جنيها مصر يا
ثمن الجبل ولا قوة تحت الشمس تخلصه من هذه الضريبة»
ضريبة ما انزل الله بها من سلطان ولكن الياس شدراوي
يحكى للقوم اختباراته في تلك البلاد وانا ككل من كان
حاضر اتنسمت هواء مصر وانا في الباخرة عندما رست

في مياه الاسكندرية اثناء قدمي الى هذه البلاد ولهذا سكت متعجبا الا ان احد القوم لم تهضم معدته هذه القصة فسأل المتكلم بملء العجب وقال «ولكن اذا لم يكن مع المحكوم عليه ثمن الجبل فماذا يصنعون به؟» اما الياس شدراوي فاجابه في الحال بلغة اهل مصر «لا يشقهوش» ولا تسل ايها القارئ كيف انتهت تلك الجلسة فان الضحك كاد يحدث شلالا في احناك كل سامع ومن الجملة انا وصديقي ولما افقت وافقوا وضعت يدي على راسي كمن كان في عالم الغيبوبة وقلت لصديقي ان ياذن لي بالانصراف الى النزل فرافقني اليه وعلى الطريق اخبرته ان اول ما سمعت الياس شدراوي في اول التئام الجلسة كان قوله عن جهل السوريين الفاضح بما يعتقدون وجوده في اميركا وانه كان يبرهن لسامعيه ان الغربة هي التي اثارت بصائر البعض وكيف انتهى في ذكر حكاياته الاخيرة مدعيا أنها من اختباراته الشخصية

قلت هذا وودعت الصديق صاعدا سلم النزل اما هو فاجابني «نشكر الله ان حكاياته كانت من اختباره الشخصي فلو أنها بالسمع كما يسمع السوريون في سوريا عن امجاد اميركا ويبالغون فيها لكان المحكوم عليه بالاعدام في مصر يشنق الخديوي مكانه اذا ابى دفع ثمن الجبل»

في الدرجة الثانية

في الدرجة الثانية

كثيرون من الناس لا يعرفون لماذا عيسى الباشق لم ينبح في هذه البلاد مع انه هاجر سوريا وهو في التاسعة عشرة من عمره شاب قوي الارادة جميل الطلعة ذكي الحاطر متوفد الذهن يحسن ثلاثة لغات قراءة وكتابة وقد كان الاول من بنبي جنسه الذين وصلوا الى اميركا بالدرجة الثالثة من البواحر اما هو فقدم ركب الدرجة الثانية ولبس البرنيطة.

منذ وداع اهله في بيروت الى الباخرة

والحق ان نيويورك شاهدت بعيسى الباشق اول شاب سوري عليه مسحة التمدن الظاهري وفيه كنه الادب الداخلي ولكنكه يا للأسف هو اليوم ابن خمسين سنة ولا يزال في الحالة التي قدم بها من بلاده منذ ثلاثين سنة ونيف يعزو الناس عدم نجاح المذكور الى امور كثيرة ولكنها عند العارفين ليست بالأسباب الحقيقة التي دعت الى فشله اليو ميجبك انه لم يفشل لا بل بالعكس قد نجح نجاحا باهرا ولكنكه لم يأكل ثمار نجاحه اذ سرقت منه تلك الاشجار ايدي طماعة

يقول انه كان سببا لنجاح فلان الفلاتي وفليتان الفليتاني وغيره . اولئك اليوم من كبار التجار اما هو فمن الناس

الزاهدين بالدنيا والآخرة لا يهمه من امر الناس شيء كأنه
من الناس بغير روح كانه ناس انه من الناس بطرق معاملاته
وحقيقة الحال انه في اليوم الذي وصل به عيسى الى نيويورك
شهر عن ساعد الجد وطفق يقرن قوة ارادته الى ذكائه
واجتهاده يعمل في النهار وبعض الليل ليحصل ما امله من
النجاح في بلاد النجاح ولكنه كان يخفق في حين ان اعماله
تزهر وتشمر فتناول اثمارها ايدي الغير ويبقى المسكين على
الحصيرة لا طويلة ولا قصيرة

بعد وصوله ب أيام جاءه دعيس ابن الاسمر من بلده وعرض
عليه شأنه اذا سارا فيه يقتادان به الثروة الكبيرة في المستقبل
غير بعيد دعيس رجل قضى بعض سنوات بيع المسابح
والصور المقدسة في نيويورك وما حولها وقد جمع بصنعته مبلغًا
كبيراً من المال بالربح والتقتير هذا عرض على عيسى
ان يفتحا محلًا تجاريًا في نيويورك يضع دعيس رأس المال
وعيسى يبذل خبرته وفي آخر العام تشرط الارباح بينهما
وهي فكرة حسنة دخلت ل ساعتها الى عقل عيسى فابرأ ما
الشركة وما هي الا أيام قلائل حتى باشر العمل تحت اسم
د. اسر وشركاه

حاول عيسى ان يلحوظ اسمه في اسم الشركة ولكن لم
يستطيع لعناد شريكه وخاف ان تنفرط الفكرة فرضي قاتعا

بالارباح في المستقبل عن ان يشهر اسمه وعثا جرب ان يقنع
 شريكه ان العمل والخبرة مثل راس المال وان الربح لا
 يأتي به راس المال وحده اذا ما قرن بالعمل والخبرة ولكن
 عيسى اخيرا قال «اذا لم يكن ما ت يريد فارد ما يكون»
 تأسس محل د. اسر وشركاه على اساس مكين وقد
 يبذل مديره واحد اعضائه عيسى الباشق كل ما اعطاه الله
 من مواهب العقلية والاجتهاد النفسي لينجح الشرك two يجعلها
 من اكبر المحال التجارية في القريب العاجل اما شريكه
 فكان يأمل ان يبلغ نيويورك دفعة واحدة دون ان يصرف
 في سبيل بلعته ريالا واحدا وهذا اول موضوع للخلاف بين^١
 الشركين لأن عيسى كان يفتكر ان يوؤسس المحل في
 السنة الاولى على دعائم الثقة والاعلان ولهذا لم يكن ليدخل
 في امر من الامور يقتضي فيه البخل اما شريكه فكان يقف
 عثرة في سبله غير مقتنع برهان عيسى لأن البخل التجاري
 في اعتقاده ليس الا تبذيرا وان الربح في الاقتصاد فكل
 سنت توفره تربعه كما يقول المثل الاميركي
 وهكذا قضى دعيس معظم السنة الاولى مجتهدا اعمالا
 باذلا قصارا ه مرتفعا ما كان يفتقر شريكه بشحة وبخلهما كثيرا
 ما كان يبذل من جبيه الخاص على امور تخص المحل
 ثلاثة شير ثان شريكه حتى مضت السنة الاولى فكان مجموع

ما صرفه موازيا حصته من الارباح اما ارباح دعيس فكانت
 املاء من كوز الارملة عذراء طاهرة لم تمسها يد وقد ذهل
 شريكه عيسى ايما ذهول لهذا الامر ولما ساله من اين كان
 يصرف على نفسه اجابه انه كان «يضيقها هنا وهناك»
 في راس السنة الجديدة جاء دعيس الى مكتب عيسى
 وقال انه يفتكر بحل الشركه فواحد منها يشتري حصة الثاني
 وما كان عيسى يعلم السبب الداعي شريكه الى حل
 الشركه بالرغم عن نجاحها في بدء تاسيسها ونجاح شريكه
 بالربح الوافر الذي ضمه الى راس ماله الخاص مع انه هو
 المسكين نفسه اشتغل وشقى وبدل كل ما كان بوسعي على
 امل ان تزداد الارباح في السنوات المقبلة اضعافا فيكون
 له راس مال منخور

ومن المضحكات ان عيسى اعيى عن اقناع شريكه ان
 تظل الشركه وان انحلالها بعد سنة يقلل الثقة بها وان بقاءها
 اربح للاثنين وان المامول ان تزداد ارباحهما اضعافا في
 السنين القادمة لأن ما مضى لا يدعى زمن تجارة وربح بل
 زمن تاسيس و مباشرة وعندما قال له اذا كان لا بد من
 القسمة فهو يشتري المحل اجابه دعيس بقوله — مليح
 اعطني ثمن حصتي !

ومن اين لعيسى ثمن حصة شريكه ؟ ولكن عيسى نفسه

فهم معنى القسمة التي يريدها شريكه ولهذا ضحك ضحكة صفراوية ممزوجة بالدم وياس وقال له — اما انا فاذا بعتك حصتي فماذا تدفع لي عنها ؟

فاجابه — ادفع لك بقدر ما لك في الدفتر وجبة مسك فقال عيسى — هنا في الشرع عدل فاذا اعطيتني مالي في الدفتر كفاية تبقى جبة المسك فهذه من فضلك وكرم سجاياك وانا ممتن لك من هذا السخاء وتناول عيسى الدفتر فضرب على اسمه واخذ قبعته وسار نحو الباب وقبل ان يخرج تطلع الى وجه شريكه زاورا وقال له — خاطرك يا دعييس فقد انتهى ما يتناول الان واما جبة المسك فلا حاجة لي بها فخلها في شواربك

في اليوم التالي كان محل د. اسمر وشركاه فاتحا بابه كالعادة وعواضا عن مديره واحد اعضائه عيسى الباشق كان جالسا فتى يشغله في الدفاتر باجرة ثمانية روبلات في الاسبوع

ولماذا يشرك دعييس غيره على ربح ماله في حين انه يستطيع ان يستاجر فتى باجرة زهيدة يقضي محل الشريك اما عيسى فاتفق مع محل سوري اخر يمثله بالمساطر في الداخلية فاظهر بادئ ذي بدء قوة غريبة في كسب الزبائن لمحله الجديد حتى صارت مداخليل المحل خمسة

اضعاف الماضي ولكن في اخر السنة عاد الى نيويورك
 للحساب فرحا بنجاحه واما لا بزيادة التقدم في السنوات الاتية
 لانه اعتبر تلك السنة زمنا للتاسيس فكان يعني اماله للغد
 وعندما جلس «السلزمان» مع «الباط» للحساب رأى منه
 كل تساهل وغيره وفي الحال رصد صاحب المحل حساب
 عيسى بحالة مالية قدرها ثلاثة ريال مع قوله له انه
 يعزع عليه كثيرا ان يصرفه ولكن مدفوع لذلك بعامل الخوف
 من المستقبل ولهذا يرى ان يخفض المصاريف دفاعا للمحاذير
 وعيثا حاول عيسى اقناع «باطه» بان خوفه لامحل له
 وان المستقبل يسم لها عن نجاح اكيد ولما اعنى تناول
 برنيطه واستلم الباب يبحث له عن عمل في محل اخر
 واتفق عيسى اتفاقات عديدة مثل اتفاقه الانف مع
 بيوتات سورية عديدة كان في نهاية كل سنة يزيد في ارباح
 المحل وهو يخرج قانعا بالسلامة حتى مل العمل ويئس من
 النجاح فلاذ الى المسكرات والقمار وهو لا يزال يعمل
 يوما فيكسل شهرا انى هذا الحين والناس يتعجبون لحاله
 ويستذرون فتلهم الى امور هو بعيد عنها بعد الارض عن السماء
 صادفته مرة في احدى القهاوي فملت اليه احاديثه في امور
 هذه النزالة ففتح الي جعبه اسراره وقال - يظنني الناس غير
 ناجح ولعمري اني است في السنة الاولى محل د. اسر

وشر کاه فاکل ثمرة اتعابي فتى استاجره دعيس بشما نية
 ريات في الاسبوع اذ لم يمض عليه الا اشهر قليلة حتى
 سرق المحل وزور علی صاحبه حوالات باکثر من نصف
 راس المال فاضطر المحل الى الافلاس واما الفتى فقد صرف
 المال على البناء وبعد ما قضى سنتين في الجبس صادفه
 في الشارع فاقر لی انه سرق مضطر الان المعاش لم يكن وافيا
 وقال لی ايضا ان المحل الثاني الذي كسب له زبائن
 عديدين اضطر الى الافلاس بعد سنتين لأن زوبعة مالية
 هبت في اسواق اميركا فاثرت عليه لفرار اکثر الزبائن
 بالديون التي عليهم

وعد امامي محالا عديدة قال انه وضع اساسها التجاري
 على صخر فكان لا يکاد ينهي الاساس حتى يرغم على
 الترك وما كان يغضبه بالاکثر انهم لا يبنون على تلك الاساس
 القوية الابنایات من لبن بدل العجر

مسکین عیسى الباشق! الناس تظن انه سکير ومقامر
 وکسلان ويقولون عنه «القامة مصقوله والجيبة ما فيها فولة»
 والحقيقة انه رجل طبخ فاکل غيره وزرع فحصد سواه
 وهو يقول ان اميركا ليست للذين يهاجرون اليها بالدرجة
 الثانية او الاولى ولا الذين يعرفون القراءة والكتابة واللغات
 انها لغيرهم للتجار بالصدفة والقدر!

خېزلى بىرق جېپىنلەك

خبرك بعرق جبينك

ثوماس كاربتر امي يحمل القراءة والكتابة باية لغة من لغات العالم ولكنه بالرغم من ذلك يشتري جريدة من جرائد ابلاد صباحاً لدى ذهابه الى عمله ويطويها طيات فيلحسها في جيده ويسير الى عمله وتبقى معه حتى يذهب الى سريره للنوم اذ ذلك يرمي بها الى السلة او من النافذة الى الشارع

وثوماس كاربتر ليس بالانكليزي الاصل ولا بالاميركي بل هو سوري ابن سوريين من سلالة السوريين ولكنه هكذا دعا نفسه بعد سنة من وجوده في اميركا اما اسمه الاصلي فكان طنوس نجار

هاجر طنوس وهو في العشرين من عمره وقد وضعته الاقدار في قرية من قرى ولاية فرمونت وهو لا يزال هناك حتى هذه الساعة يشتغل بالبيع بالجزدان وقد كان في السنوات الاولى يسترزق من عمله في احد المصانع الحديدية في السنوات الاولى المذكورة اذ كان حضرته لا يزال طнос ابن النجار كان لا يريد ان يعرف من اميركا الا سحب المصاري فكلما توفر لديه كم ريال يذهب الى سوري اخبر منه في ذلك البلد فيساعده على ارسال مبلغ من الريالات

الى ابويه وظل هذا دابه يشغله فيساعد ذويه حتى مل العمل
في المعمل اذ كان يرى بعض باعة الجزدان تسوقهم الاسفار
الى ولاية فرمونت فيحصدتهم على معاشهم وحياتهم فكان
يرى نفسه اجيرا وسخ الثياب والهداة امام غناهم وحسن
هندامهم فلعلت براسه سورات الطموح الى مصافهم وظل يعالج
هذا الهم ويغالبه حتى فاز بما كان يتمناه فترك المعمل
ومشاقه غانما نحو مئتي ريال ليبدا بالبيع ويستلم معارج

التقدم

اول طموح طنوس نجار الى الارقاء كان بشئين او لا
بتغيير اسمه وثانيا بمشترى طقم جديد من القدم الى الرقبة
ومن ذلك اليوم لفظ الطموح الخواجه طنوس نجار المستر
ثوماس كاربتر وهو لا يزال كذلك الى يومنا الحاضر
وكتب مستر كاربتر الى اهله انه تقدم في حياته وان
الفابر كة ليس منها مطعم فالتجارة اربح له واحسن لمستقيمه
وانه ابتدأ يتدرج بادوارها فهو قد ابتدأ بيع بالجزدان وان
شاء الله بعد مدة وجيزة يصير صاحب مخزن
وفي حاشية على زاوية الرسالة امل حضرته على الذي
كان يكتب له رسالته ان اسمه المعروف من الان فصاعدا صار
ثوماس كاربتر
لما وصل كتاب هذا المهاجر الى اهله فرحوا لنجاحه ايما

فرح ولكنهم كانوا يبالغون بالأخبار عنه حتى ان امه كانت تحمل تغيير اسمه من عربي الى انكليزي الى ان نجلها صار امير كيا بكل معانٍ الكلمة. ولكنهم ما لبثوا ان اغتصموا لنحاحه لأن ما اعتادوه منه بارسال دراهم اليهم كل وھلة قد انقطع عنهم فكانوا يظنون ان ذلك طبيعي لتأسيسه تجارتة فكانت رسائل ايه اليه تحمل شيئاً من الشكوى للحالة التي يعانيها بسبب قلة ذات اليد فكان يكثر من الادعية بتوفيقه بان يمسك التراب فينقلب الى ذهب ثم يسأل الله ان يدب الحنف في قلبه لثلا ينسى ابويه الذين ما لهما غيره من بعد الله تعالى

كانت المهمة الجديدة التي ابتدأ بها المستر كاربتر شاقة عليه بادىء ذي بدء فان الايام الاولى لم تدر عليه ربحاً بالمرة ولهذا كانت العوامل العدالة تتنازعه ايعود الى الفابر كة التي ربحه مسوكر فيها ام يظل يمرن نفسه على اساليب البيع بالرغم من انه لم «يسنس» في الايام الاولى؟ الا انه لا بد للمسافر من الوصول الى محطة. فيبعثة اولى جاءته بربح كم ريال وهذا مما شجعه على المثابرة فلتلتها ثانية وثالثة وصار له زبائن يعرفهم ويعرفونه وصار يعرف الاصناف الاكثر رواجاً من غيرها وطلب السعر الغالي ليحصل على الربح القليل الى ما هنالك

ولا حاجة الى القول ان ارباح المستر كاربتر كانت اكثرا من الاجرة التي كان يتناولها في الفابركة الا انه كان يشعر ان مصاريف الفابركة فيها بركلة اكثرا و كان يحس ان ارباح العزدان تطير من حيث لا يدرى لان البيع يحتاج الى لياقة وحسن هندام وهدايا للصناعات وغير ذلك كثير ومع هذا ظل بمهنته لانه اعتادها واحبها ولم يعد مجبورا على سماع تنبية الساعة الدقيقة عند الساعة الخامسة صباحا بل حار ينهض من النوم ضحى كل يوم واذا كان الطقس رديئا كان يبقى في غرفته متكملا فتارة كان يقوم بضائمه وبعد ارباحه وتارة يخاطب بالتلفون بعض زبائنه فيبرم معهم مواعيد لعرض بضائمه عليهم

في السنوات الاولى - بارك الله بها - كانت رسائل طنوس نجاح تذهب بكل بوسطة الى اهله اما بعده فصار ثوماس كاربتر يعيش على عشر رسائل من ايده دفعه واحدة معتقدا انه يجعل الكتابة وليس من يكتب له رسالته الا كل مدقوفي رسالته الاولى كانت الحالات المالية بالكميات الصغيرة متابعة اما بعدها فصارت الحالات قليلة جدا ونادرة في سنوات النكبة التي حلت على سوزيا كان المستر كاربتر يعامل نفسه بالامال فكان يظن ان لا مهرب لعائلة ايده من الفناء جوعا وقد توجع اولا لحالتهم وتفطرت كبده

الا ان الايام محت منه هذه العاطفة ورسخ بعقله ان عائلته
لا امل لها بالخلاص ولهذا كان يرقب نهاية الحرب
وانفتاح الطريق ليأخذ او لبآخرة الى لبنان فيلملم رزقات
ايها ويضع الدار والارض والكرم كلها باسمه وهذه نولا
المجاعة كان يجب ان تذهب مقسمة الى ستة لانه واحد من
ستة من اولاد ايها

بقي المستر كاربتر على امله اربع سنوات كاملقوابوه
وامه واخوته الصغار كلهم في عدد الاموات بعقله . فكان
اذا ذكر احدهم يقول عنه المرحوم فلان انه تناول نعيم
نهاها ولهذا كان يقول في نفسه الحي افضل من الميت وهو
يعني بالحي نفسه وبالموت كل واحد من عائلته
والسبب في انه لا يزال مقينا في ولاية فرمونت الى اليوم
مع ان كثيرين من المهاجرين يدعون بالالوف ركبوا البحر
الى سوريا وهو الذي كان يعلق نفسه بانتهاء الحرب ليأخذ
اول بآخرة تنقل راكبا من نيويورك الى سوريا عن طريق فرنسا
او ايطاليا او انكلترا هو انه تناول بعد شهر من الهدنة كتابا
من المرحومين في عقله ايها وامه واخوته الصغار كلهم بعثوا
احياء من النكبة الدابرة وفيه يخبره ابوه باتهم باعوا كل
شيء حتى اثاث البيت ليحافظوا على حياتهم ولو تاخر
الحلفاء اسبوعا واحدا لذهبوا جميعا ضحايا الجوع ثم ان اباء

يشكر الله ان ابنه في اميركا ولهذا تمكّن ان يستدين من
الجيران مبلغ مئة ليرة بعدما باع كل شيء على امل ان ابنه
طنوس في اميركا يفيها لدى فتح الطريق
لا يزال الى اليوم يشتغل باجتهاد لمساعدة اهله كما كان
يوم كان طнос يعلم في الفابركة واذا ذكر امامه شيء عن
النكبة في سوريا يكتذبها حالاً ويلعن الجرائد التي نقلت انباء
المجاورة الى المهاجرين مع انها اختلاق محض حتى انه يوم
اجتمع بصديق له في بلد اخر فعلم منه انه مات من اهله
عشرون شخصاً وان الضياعة فقدت تسعين بالمائة من سكانها
حاول المستر كاربنتر اقناع صديقه ان كل ما بلغه
كذب واختلاق من الجرائد بشادة ان اهله هو نفسه لا يزالون
احياء

ولما اجتمع بصديق له اخر تناول حديثهما اخبار البلاد
فقال انه مبسوط جداً ان اهله ظلوا احياء وانه مستاء جداً من
صديقه الاول لانه ذاهب الى لبنان ليثر اهله كأنه طلبها
في السماء فوجدها على الارض ان يموت اهله ليزورهم وليس
من يقاسمها التركة من اخوانه وانهى حديثه بقوله ان الارث
لا خير فيه وان على المرأة ان يتمتع بما تعني يداه فخير ما
يأكله الانسان ما كان معجونة بعرق جبينه

فهرس

٠٠٦	الحاكم بامرہ
٠١٨	في بيت المیت
٠٢٦	المتشائم
٠٣٤	سعان النادر
٠٤٢	حیال الغسل
٠٥٠	ما فيها شيء
٠٦٠	مال يتکلم
٠٦٦	حي دفين
٠٧٤	زواننا لا فمهم
٠٨٤	ذو اللحية الطويلة
٠٩٤	ابن العصر
١٠٢	خفشار في امير كان
١١٢	لنا علم وللجهال مال
١٢٠	عارف الجميع
١٣٠	اقصر الطرق
١٣٨	المتشرعن
١٤٦	تعامة البیك
١٥٤	ابن غير عصره
١٦٢	من اول الطريق
١٦٨	تمثال الحرية
١٧٤	من الدب الى الجب
١٧٨	كما صرنا تصيرونا
١٨٤	الثقة في البشر
١٩٢	مدنية الامیر كان
٢٠٠	احادیث الغرام
٢٠٦	لا فرق بين الاثنین
٢١٤	الله يسعده ويبعده
٢٢٢	عبد الفطرة
٢٢٨	الامل والالم
٢٣٦	مدرسة الغربة
٢٤٢	في الدرجة الثانية
٢٥٠	خبزك بعرق جبينك